

# **إرمنية قبل الفتح الإسلامي**

**وفي أيامه**

**تأليف**

**اللواء الركن محمود شيت خطاب**

**جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي**

**منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد 34 - ج 2 -**

**ص 45 - 95**

**1403هـ - 1983م**

إِزْمِيْنِيَّة  
قَبْلَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ وَفِي أَيَّامِهِ

المراد الركن محمد سبيح خطاب



فرزة من : مجلة المجمع العلمي العراقي  
الجزء الأول - المجلد الرابع والثلاثون

ربيع الأول ١٤٠٣ هـ  
كانون الثاني ١٩٨٣ م

# إِزْمِينِيَّة

## قَبْلَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ وَفِي أَيَّامِهِ

المؤلف والركن محمود سَيْتِ خَطَّاب

( عضو المجمع )

استعادة فتح ارمينية

الموقف العام :

ابتدأت المشاكل والفوضى تعمّ أرجاء الدولة الإسلامية من سنة ثلاث وثلاثين الهجرية ( ٦٥٣ م ) في أواخر عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، وبدأت هذه المشاكل والفوضى في « الكوفة » و « البصرة » . وتكاثب نفر من المسلمين إلى بعضهم : « أن أقدموا ، فإنّ الجهاد عندنا » ، فأصبح الجهاد في المدينة المنورة قاعدة المسلمين الرئيسة وعاصمتهم ، على رأى أولئك النفر ، لا في البلاد المفتوحة في خارج شبه الجزيرة العربية ، ولا في البلاد المجاورة التي تهدّد البلاد المفتوحة !

وفي سنة خمس وثلاثين الهجرية ( ٦٥٥ م ) قُتل عثمان بن عفّان رضي الله عنه في المدينة المنورة بيد المسلمين لا بيد أعدائهم ، وبذلك أصبحت سيوف الفاتحين عليهم لا على من يعاديهم ويحاربهم .

وتولى الخلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، والقلوب مختلفة والنفوس متفرقة والبلاد مضطربة ، فسار قُسْطَنْطِين بن هِرَقْل في ألف مركب سنة خمس وثلاثين الهجرية (\*) (١٨٠) ( ٦٥٥ م ) يريد بلاد المسلمين ، وهكذا

(\*) أرقام الهامش تابعة الى القسم الاول من البحث .

(١٨٠) ابن الأثير (١٩٩/٣) .

أصبح الطالب مطرباً ، والمتنصر مغلوباً .  
وفي سنة ست وثلاثين الهجرية ( ٦٥٦ م ) نشب الخلاف في الأمصار والمدن الإسلامية داخل البلاد العربية - قاعدة الفتح والفاتحين ، وضعفت سيطرة القيادة المركزية .

وفي هذه السنة ، جرت معركة ( الجَمَل ) في البصرة (١٨١) ، اقتتل فيها الفاتحون ، وتساقط منهم في ساحة المعركة عشرات الألوف من قادة الفتح وجنوده .

وفي هذه السنة أيضاً ، سار الخوارج إلى ( سِجِسْتَان ) (١٨٢) ، فامتدّ الاقتتال بين الفاتحين إلى البلاد المفتوحة في خارج البلاد العربية .

وفي سنة سبع وثلاثين الهجرية ( ٦٥٧ م ) ، تطوّر الاقتتال بين الفاتحين قادة وجنوداً في معركة ( صِفِّين ) (١٨٣) تطوراً خطيراً ، وسقط عشرات الألوف من القتلى والجرحى في ميدان الاقتتال ، فأصبح الصدع من الجانبين عرباً مسلمين لا يقبل الانثام .

وانطلق الشاعر العربي يعتصر قلبه شعراً فقال :

أصبحت الأمةُ في أمرٍ عَجَبُ والمُلكُ مجموعٌ غداً لمن غَلَبُ  
فقلت قولاً صادقاً غير كَذِبُ إنَّ غداً تهلكُ أعلامُ العربِ (١٨٤)

وفي هذه السنة انتقضت ( خُرَّاسَان ) وامتنعت ، فحاصر أهلها عامل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حتى صالحهم بعد جهْدٍ جهيد (١٨٥) ، وبدأ قتال الخوارج ، فسقط آلاف القتلى والجرحى منهم رجال عليّ بن أبي

(١٨١) انظر التفاصيل في ابن الأثير (٢٠٥/٣-٢٦٤) .

(١٨٢) ابن الأثير (٢٦٤/٣) .

(١٨٣) انظر تفاصيل المعركة في : ابن الأثير (٢٧٦-٣١٦) .

(١٨٤) الشعر من قول الشاعر : كعب بن جميل التغلبي ، انظر الطبري (١٤/٥) .

(١٨٥) ابن الأثير (٣٢٦/٣) .

طالب رضي الله عنه (١٨٦) بعد اقتتال مرير .

وفي سنة ثمان وثلاثين الهجرية (٦٥٨م) ملك عمرو بن العاص (١٨٧) مصر وقتل محمد بن أبي بكر الصديق عامل علي بن أبي طالب على مصر (١٨٨) ، فأصبحت الدولة الاسلامية دولتين تعمها الفتن والاضطرابات والفوضى .

وفي سنة تسع وثلاثين الهجرية (٦٥٩ م) ، طمع أهل ( فارس ) و ( كرمّان ) في كسر الخراج ، فطمع أهل كل ناحية وأخرجوا عاملهم (١٨٩) واشتد القتال بين رجال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والخوارج وفرق الاقتتال بين الدوائين الاسلاميتين ، وأصبحت غاراتها تنصب على بلاد المسلمين المفتوحة لا على بلاد الأعداء لفتح جديد .

وفي سنة أربعين الهجرية قُتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيد عربي في عاصمته الكوفة في المسجد وهو ينادي : الصلاة . . . الصلاة ! (١٩٠)

لقد استشهد ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة : عمر بن الخطاب قتله فارسي ، وعثمان بن عفان قتله العرب ، وعلي بن أبي طالب قتله عربي من مُراد .

وبويع معاوية بن أبي سفيان ، واكن الدولة الاسلامية كانت تغلي كالمرجل ، وأصبح الفاتحون شيعةً وأحزاباً .

وفي سنة إحدى وأربعين الهجرية (٦٦١ م) ، بدأ الاقتتال بين معاوية

---

(١٨٦) انظر التفاصيل في : ابن الأثير (٣/٣٢٤-٣٤٨) .

(١٨٧) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (١٢٣-١٦٣) .

(١٨٨) انظر التفاصيل في الطبري (٥/٩٤-١١٠) .

(١٨٩) انظر التفاصيل في : ابن الأثير (٣/٣٨١-٣٨٢) .

(١٩٠) انظر التفاصيل في : ابن الأثير (٣/٣٨٧-٣٩٦) .

والخوارج ، فنكثت ( خُرَاسان ) (١٩١) .

وفي سنة اثنتين وأربعين الهجرية ( ٦٦٢ م ) ، بدأت تبشير الاستقرار في البلاد العربية ، فغزا المسلمون ( الآلان ) والرُّوم ، وهزموهم هزيمة منكرة (١٩٢) .

وفي سنة ثلاث وأربعين الهجرية ( ٦٦٣ م ) غزا المسلمون ( سِجِسْتان ) بعد أن انتقضت ، فاستعادوا فتحها بلداً بلداً (١٩٣) ، كما استعادوا فتح ( طخارستان ) (١٩٤) .

ومن سنة أربع وأربعين الهجرية حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة ستين الهجرية ( ٦٦٤ م — ٦٧٩ م ) ، عمّ الاستقرار أرجاء البلاد العربية ، فغزا المسلمون ( السُّند ) و ( القُسْطَنْطِينِيَّة ) و ( إفْرِيقِيَّة ) والرُّوم ، وفتحوا جزيرة ( أرُود ) وفتوحات جديدة أخرى ، واستعادوا فتح المناطق التي سبق فتحها ثم انتقضت ، وذلك بفضل عودة الاستقرار والوحدة الى المسلمين .

وتولى يزيد بن معاوية بعد وفاة أبيه سنة ستين الهجرية ( ٦٧٩ م ) ، فبدأت الاضطرابات والفتن والثورات تنبعث ثانية في أرجاء البلاد الإسلامية وفي البلاد العربية قلب الدولة الإسلامية ، وفي سنة إحدى وستين الهجرية ( ٦٨٠ م ) استشهد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ( كَرْبَلَاء ) (١٩٥) فغدر أهل ( كابل ) ونكثوا وقتلوا المسلمين ، ووقعت العصبية القبلية بين الفاتحين في البلاد المفتوحة (١٩٦) ، مما أضعفهم وهون أمرهم بين الأعداء . وفي سنة ثلاث وستين الهجرية ( ٦٨٢ م ) كانت وقعة ( الحرّة ) ،

(١٩١) ابن الأثير (٤١٧/٣) . (١٩٢) ابن الأثير (٤٣٠/٣) .

(١٩٣) ابن الأثير (٤٣٦/٣-٤٣٧) . (١٩٤) ابن الأثير (٤٣٨/٣) .

(١٩٥) انظر تفاصيل استشهاده في : ابن الأثير (٩٤-٤٦/٤) .

(١٩٦) انظر ابن الأثير (٩٨-٩٧/٤) .

في المدينة المنورة ، فأبيحت المدينة ثلاثة أيام يقتلون الناس ويأخذون الأموال والمتاع ، فتساقط القتلى والجرحى من سكانها بالآلاف (١٩٧) .

وفي سنة أربع وستين الهجرية ( ٦٨٣ م ) مات يزيد بن معاوية ، وكان قد عهد بالأمر إلى ابنه معاوية بن يزيد ، فبقي في الخلافة شهرين أو أقل ، ثم مات ولم يستخلف أحداً (١٩٨) .

وفي هذه السنة بويع لعبدالله بن الزبير بمكة المكرمة ، وكان حصار الشاميين قد اشتدّ على ابن الزبير ، فلما علموا بموت يزيد انسحبوا إلى المدينة المنورة في طريقهم إلى دمشق (١٩٩) .

وغلب على الشام الضحّاك بن قيس الفهري (٢٠٠) ، فدعا إلى ابن الزبير ثم إلى نفسه وانحاز عنه مروان بن الحكم في بني أمية إلى أرض (حَوْرَان) ، فوافاهم عبيدالله بن زياد (٢٠١) من الكوفة على البرية منهزماً من أهلها ، فقري عزم مروان على طلب الخلافة . وجرت أمور كثيرة إلى أن التقى مروان والضحّاك بـ ( مَرْجَ رَاهِط ) بنواحي دمشق شرقي ( الغُوطَة ) ، فقتل الضحّاك وقتل معه نحو ثلاثة آلاف ، وانتصر مروان في سنة أربع وستين الهجرية (٢٠٢) ( ٦٨٣ م ) .

وبويع مروان بن الحكم في هذه السنة ، فانقضت ( الرِّيّ ) (٢٠٣) ، وبايعت ( خُرَّاسَان ) والياً اختارته (٢٠٤) ، واثارت فتنة المختار في ( الكوفة ) فأرعدت الفتنة وأبرقت (٢٠٥) .

(١٩٧) انظر التفاصيل في : ابن الأثير (١١١/٤-١٢٢) .

(١٩٨) العبر (٦٩/١) . (١٩٩) ابن الأثير (١٣٠/٤) .

(٢٠٠) انظر سيرته في : تهذيب ابن عساكر (٧/٦-١٢) .

(٢٠١) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح المشرق الاسلامي .

(٢٠٢) طبقات ابن سعد (٢٢٦/٥) . (٢٠٣) ابن الأثير (١٤٤/٤) .

(٢٠٤) ابن الأثير (١٥٨-١٥٤/٤) . (٢٠٥) ابن الأثير (١٦٨-١٧٤/٤) .

ومات مروان سنة خمس وستين الهجرية ( ٦٨٤ م ) ، وتولى عبدالمالك ابن مروان ، فكان على أرض الشام ومصر ، وكان عبدالله بن الزبير (٢٠٦) على البلاد الاسلامية الأخرى .

وبدأ عبدالمالك بن مروان يبذل قصارى جهده لاعادة الوحدة الشاملة إلى بلاد المسلمين ، فكانت في سنة سبع وستين الهجرية ( ٦٩٥ م ) وقعة ( الخَازَر ) اندحر فيها أهل الشام ، وكانوا أربعين أنفًا ، وظفر بهم ابراهيم ابن الأشتر التَّخَعِيّ ، وقتل أمراء الشام ، وكان ابن الأشتر قائداً من قادة المختار (٢٠٧) .

وقضى مُصْعَب بن الزبير على المختار ، وقضى عبدالمالك على مُصْعَب ، وخرجت الخوارج بفارس والعراق وذلك سنة ثمان وستين الهجرية (٦٩٦ م) . وفي هذه السنة ، وافى ( عَرَقات ) في موسم الحج أربعة ألوية : لواء لمحمد بن الحنفية وأصحابه ، ولواء لابن الزبير وأصحابه ، ولواء لبني أمية ، ولواء لسنجدة الحروري (٢٠٨) ، وهكذا تفرق المسلمون حتى في أداء شعائر الحج !

وفي سنة إحدى وسبعين الهجرية ( ٦٩٠ م ) قضى عبدالمالك بن مروان على مُصْعَب بن الزبير في العراق (٢٠٩) .

وفي سنة اثنتين وسبعين الهجرية ( ٦٩١ م ) قضى عبدالمالك على قسم من فتن الخوارج والخارجين عليه في الأمصار (٢١٠) .

وفي سنة ثلاث وسبعين الهجرية ( ٦٩٢ م ) ، قضى الحجاج بن يوسف

(٢٠٦) انظر سيرته المفصلة في كتابنا ؛ قادة فتح المغرب العربي (٢/٣٦-٩١) .

(٢٠٧) ابن الأثير ( ٢٦١-٢٦٧ ) . (٢٠٨) ابن الأثير (٤/٢٩٦) .

(٢٠٩) انظر التفاصيل في : ابن الأثير (٤/٣٢٣-٣٣٦) .

(٢١٠) انظر التفاصيل في : ابن الأثير (٤/٣٤٢-٣٤٧) .



الثَّقَفِيَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ فِي الْحِجَازِ (٢١١) .

وهكذا قضى عبد الملك بن مروان من سنة خمس وستين الهجرية إلى سنة ثلاث وسبعين الهجرية ( ٦٨٤ م - ٦٩٢ م ) في صراع مرير لاستعادة الوحدة الشاملة إلى الدولة الإسلامية ، سقط من جرائه ما لا يعد ولا يحصى من القتلى ، وشغل العرب فيما بينهم بالافتتال عن القتال في ساحات الجهاد ، فضعف شأن المسلمين في البلاد المفتوحة ، واجتاحتها الفتن والاضطرابات والفوضى . لقد كانت سنة ثلاث وسبعين الهجرية سنة الوحدة الشاملة للدولة الإسلامية . والدرس الذي نتعلمه ، أن من أسباب فتوح المسلمين وحدتهم بالاسلام ، وأن الفتوح تمتد شرقاً وغرباً في أيام الوحدة ، وتنحصر في كل مكان في أيام الفرقة .

ولم تكن إرمينية أسعد حظاً من البلاد المفتوحة الأخرى ، بل كانت مثلها في انتفاض أهلها واستقلالهم عن الدولة الإسلامية .

## ٢- جهاد محمد بن مروان :

لما كانت فتنة عبدالله بن الزبير ، انتقضت إرمينية (٢١٢) ، وفي سنة ثلاث وسبعين الهجرية (٦٩٢ م) وهو عام الوحدة ، وآتى عبد الملك بن مروان أخاه محمد بن مروان على الجزيرة وإرمينية ، فغزا منها وأثنى في العدو (٢١٣) ، وقتل وسبى وغلب على البلاد (٢١٤) . وفي سنة أربع وسبعين غزا محمد بن مروان الصائفة الروم (٢١٥) ، كما غزا الروم سنة خمس وسبعين الهجرية ( ٦٩٤ م ) الصائفة أيضاً (٢١٦) .

وفي سنة ست وسبعين (٦٩٥ م) غزا محمد الروم من ناحية (مَلَطِيَّة) (٢١٧)

(٢١١) انظر التفاصيل في : ابن الأثير (٣٤٨/٣-٣٥٩) .

(٢١٢) فتوح البلدان (٢٨٩) . (٢١٣) ابن الأثير (٣٦١/٤) .

(٢١٤) فتوح البلدان (٢٨٩) . (٢١٥) ابن الأثير (٣٧٣/٤) .

(٢١٦) ابن الأثير (٣٩١/٤) . (٢١٧) ابن الأثير (٤١٨/٤) .

وفي سنة اثنتين وثمانين الهجرية ( ٧٠ م ) غزا محمد إرمينية فهزمهم ، ولكنهم قتلوا وكيله عليها بعد أن صالحهم ، فغدروا به وقتلوه غدراً (٢١٨) .  
وفي سنة خمس وثمانين الهجرية ( ٧٠٤ م ) غزا محمد إرمينية فصافَ فيها وشتى (٢١٩) .

وفي سنة إحدى وتسعين الهجرية ( ٧٠٩ م ) عزل الوليد بن عبد الملك عمه محمد بن مروان عن إرمينية والجزيرة واستعمل عليها أخاه مَسْلَمَةَ بن عبد الملك (٢٢٠) .

لقد كان محمد بن مروان قائداً متميزاً ، له شخصية قوية نافذة ، وقد أعاد الهدوء والاستقرار إلى إرمينية ، وخافه أهلها (٢٢١) .

٣- جهاد مَسْلَمَةَ بن عبد الملك (٢٢٢) :

أ - ولايته الأولى :

عزل الوليد بن عبد الملك عمه محمد بن مروان عن ( الجزيرة ) ( إرمينية ) سنة إحدى وتسعين الهجرية ( ٧٠٩ م ) واستعمل عليها أخاه مَسْلَمَةَ (٢٢٣) . ولما أراد الوليد عزل عمه ، لم يقدم أحداً عليه إلا مَسْلَمَةَ (٢٢٤) .

وفي هذه السنة غزا مسلمة مدينة ( باب الأبواب ) ، وفتح مدائن وحصوناً ، ونصب عليها المجانيق (٢٢٥) .

وأضى مسلمة السنوات التالية في غزو بلاد الروم ، وفي سنة خمس وتسعين الهجرية ( ٧١٣ م ) غزا مسلمة مدينة ( باب الأبواب ) وفتحها

(٢١٨) ابن الأثير (٤/٤٧٦) . (٢١٩) ابن الأثير (٤/٥١٤) .

(٢٢٠) ابن الأثير (٤/٥٥٥) . (٢٢١) فتوح البلدان (٢٨٩) .

(٢٢٢) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد الروم .

(٢٢٣) ابن الأثير (٤/٥٥٥) . (٢٢٤) ابن الأثير (٥/٧٠) .

(٢٢٥) الطبري (٤/٤٥٤) وابن الأثير (٤/٥٥٥) وابن خلدون (٣/١٤) والنجوم الزاهرة (١/٢٢٢) .

وتاريخ الاسلام (٤/٣٠٢) .

وخرَّبها ، ثم بناها بعد ذلك (٢٢٦) بعشر سنين (٢٢٧) أو تسع سنين (٢٢٨) ، وقد انتقضت هذه المدينة فأعادها للمسلمين مرة أخرى ، والظاهر أنها استعصت . وغزا مسلمة بلاد الروم سنة ست وتسعين الهجرية ( ٧١٤ م ) وسنة سبع وتسعين الهجرية ( ٧١٥ م ) .

وفي سنة ثمان وتسعين الهجرية ( ٧١٦ م - ٧١٧ م ) عزل سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة وولاه قائداً عاماً لقوات المسلمين المعترمة فتسح القُسْطَنْطِينِيَّة (٢٢٩) ، فسار على رأس جيشه نحو هدفه .

#### ب - ولايته الثانية :

وفي سنة سبع ومئة الهجرية ( ٧٢٥ م ) ، استعمل هشام بن عبد الملك أخاه مَسْلَمَةَ على إرمينية وأَذَرَ بِيَسْجَانَ خَلْفاً للجراح بن عبد الله الحَكَمِي (٢٣٠) فاستعمل مسلمة الحارث بن عمرو الطائي (٢٣١) ، فافتتح رستاقاً وقرى كثيرة ، وأثر فيها أثراً حسناً (٢٣٢) .

وفي سنة ثمان ومئة الهجرية ( ٧٢٦ م ) ، حاصر الترك مدينة (وَرْثَانَ) (٢٣٣) ورموها بالمنجنيق ، فقصدهم الحارث بن عمرو بأمر مَسْلَمَةَ وعبر نهر (الرسّ) بالقرب من (وَرْثَانَ) ، والتقى بالترك وانتصر عليهم بعد أن كبّدهم خسائر فادحة بالأرواح (٢٣٤) .

- 
- (٢٢٦) البداية والنهاية (٣٢٨/٩) . (٢٢٧) البداية والنهاية (١١٧/٩) والمعارف (٣٦٥)  
 (٢٢٨) البداية والنهاية (٣٢٨/٩) . (٢٢٩) أبو الفدا (٢٠٠/١) والعبير (١١٦/١) .  
 (٢٣٠) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المشرق الاسلامي .  
 (٢٣١) انظر سيرته في : تهذيب ابن عساكر (٤٥٦/٣) .  
 (٢٣٢) ابن الأثير (١٣٧/٥ - ١٣٨) والعبير (١٣٠) وشذرات الذهب (١٣٤) وتاريخ الموصل (٢٥) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٥٠/٢) .  
 (٢٣٣) ورتان : بلد هو آخر حدود أذربيجان ، بينه وبين وادي الرس فرسخان ، وبين ورتان وبيلقان سبعة فراسخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٤١٣/٨ ) .  
 (٢٣٤) تهذيب ابن عساكر (٤٥٦/٣) .

وفي سنة تسع ومئة الهجرية ( ٧٢٧ م ) ، غزا مسلمةُ الترك من ناحية ( أذربيجان ) ، فغنم وسبى وعاد سالماً (٢٣٥).

وفي سنة عشر ومئة الهجرية ( ٧٢٨ م ) ، غزا مسلمةُ الترك في باب ( اللان ) ، فلقى خاقان (٢٣٦) في جموعه ، ونشب القتال بين الجانبين قريباً من شهر واحد ، وأصابهم مطرٌ شديد ، فانهزم خاقان وعاد مسلمة منتصراً (٢٣٧) .

وفي سنة إحدى عشرة ومئة الهجرية ( ٧٢٩ م ) ، استعمل هشام بن عبد الملك الجراح بن عبدالله الحَكَمِيّ على إرمينية وأذربيجان وعزل أخاه مسلمة (٢٣٨) .

ومن الراضح أن مسلمة وطّد أكناف إرمينية وأذربيجان وأحرز انتصارات باهرة على الخَزَر والترك ، فأدّى واجبه على أحسن وجه ، ولم يبق مايسوغ بقاءه في منصبه بعيداً عن عاصمة الخلافة ( دِمَشق ) ، وبخاصة فان وجزده في دمشق يفيد جميع الأقطار الاسلامية ولا يقتصر على قطرين إسلاميين حسب . ولعل عزل مسلمة كان لحرص هشام على أن يبقى مسلمة إلى جانبه ، مستشاراً ناصحاً وقائداً لامعاً وإدارياً حازماً ، فاستأثر به لنفسه من أجل مصلحة الدولة الاسلامية كلها ، إذ لا يمكن الاستغناء عن كفاية مسلمة الذي أصبح قائد الدولة البارز غير منازع في كفايته وإخلاصه إلاّ

(٢٣٥) ابن الأثير (١٤٥/٥) وتاريخ الموصل (٢٩) وتاريخ الاسلام (٢٠٢/٤) وتاريخ خليفة ابن خياط (٣٥٢/٢) .

(٢٣٦) خاقان : لقب ملك الترك ، ومعناه : الملك .

(٢٣٧) ابن الأثير (١٥٥/٥). وكانت هذه الغزوات من غزوات توطيد سيطرة الدولة في البلاد المفتوحة ، وإشاعة الأمن والاستقرار في ( أذربيجان ) و ( إرمينية ) الجليتين ذات البرد القارس والسكان الجبلين الماهرين في الحروب الجبلية والمتميزين بالشجاعة والاقدام.

(٢٣٨) ابن الأثير (١٥٨/٥) وتاريخ الاسلام (٣٠٢/٤٣) والنجوم الزاهرة (٢٧٠/١) وابن خلدون (٢٩٩/٣) وتاريخ الموصل (٣٠) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٥٣/٢) .

لتولي مهمة جديدة هي أكبر من مهمته الكبيرة والياً على إرمينية وأذربيجان .  
ومن المحتمل أن عزله كان لأسباب قاهرة كالمرض مثلاً ، لأن هشام بن  
عبد الملك لا يمكن أن يعزل أخاه مسلمة بدون رغبته إلا لأسباب قاهرة ، سكت  
المؤرخون عن ذكرها .

ولم يغز مسلمة سنة إحدى عشرة ومئة الهجرية ( ٧٢٩ م ) خلافاً لإعادته  
التي التزم بها في الغزو كل سنة مرة أو مرتين . وفي تلك السنة سارت  
الترك إلى ( أذربيجان ) فلقبهم الحارث بن عمرو فهزهم ( ٢٣٩ ) ، مما  
يدل على أن مسلمة كان بعيداً عن ميدان القتال ، فقاد المعركة قائد ممن يعملون  
بأمرته ، وهذا يدل على أن مسلمة كان في ( دمشق ) لأسباب غير عادية ،  
فأراد هشام أن يولي غيره دون أن يعزله لريبة أو تقصير .

### ج - ولايته الثالثة :

استشهد الجراح بن عبدالله الحكمي سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية  
( ٧٣٠ م ) ، فاضطربت إرمينية وأذربيجان نارا ، وأصبح الموقف العسكري  
حرجاً مما يهدد البلاد المفتوحة بأفدح الأخطار .

وأعاد هشام مسلمة إلى إرمينية سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية ( ٢٤٠ )  
( ٧٣٠ م ) ، ليتدارك الموقف المتردي فيها ، بعد أن استفحل أمر الخزر  
والترك فأبادوا قائد المسلمين وجيشه ( ٢٤١ ) .

وفي سنة ثلاث عشرة ومئة الهجرية ( ٧٣١ م ) ضم هشام إلى مسلمة أذربيجان  
أيضاً ( ٢٤٢ ) ، وانطلق مسلمة إلى إرمينية سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية مسرعاً ،  
لاستعادة هيبة الدولة وإعادة الأمن ، فليس مسلمة من الذين يسكتون على استشهاد  
قائد من قادة المسلمين وإفناء جيشه دون أن يعيد المعتدين إلى صوابهم .

( ٢٣٩ ) ابن الأثير ( ١٥٨/٥ ) .

( ٢٤١ ) فتوح البلدان ( ٢٩٠ ) .

( ٢٤٠ ) فتوح البلدان ( ٢٩٠ ) .

( ٢٤٢ ) تاريخ خليفة بن خياط ( ٣٥٨/٢ ) .

وكان على مقدمة مسلمة سعيد بن عمرو بن أسود الحرشي<sup>(٢٤٣)</sup> ،  
فواقع سعيد الخزر وقد حاصروا ( ورنان ) فكشفهم عنها وهزمهم ، وانسحب  
الخزر إلى ( ميمند ) من عمل أذربيجان ، فلما تهيأ لقتالهم أتاه كتاب  
مسلمة يلومه على قتاله الخزر قبل قدومه ، ويعلمه أنه قد عزاه وولى قيادة  
عسكره غيره . وسلم سعيد القيادة ، فأخذه رسول مسلمة وحبسه وأخذه  
مقيداً إلى ( برداعة ) وحبس في سجنها ، وانصرف الخزر ، فأتبعهم مسلمة  
وكتب بذلك إلى هشام ، فكتب هشام إلى مسلمة :

أَتَتَرُكُهُمْ بِمِيمَنْدٍ قَدْ تَرَاهُمْ وَتَطْلُبُهُمْ بِمَنْقَطِ التَّرَابِ !

وأمر هشام باطلاق سراح سعيد من السجن .

وقد كان الخزر بميمند ، فلم يناجزهم مسلمة أولاً ، بل قصد مدينة  
( باب الأبواب ) ثم عبرها ، فتبعه<sup>(٢٤٤)</sup> الخزر . وكان على مسلمة أن  
يبدأ بها ، حتى لا يعرض خطوط مواصلات جيش المسلمين للخطر ، ولكن  
حصل العكس ، مما أدّى إلى الاختلاف بين مسلمة وسعيد من جهة وبين مسلمة  
وهشام من جهة أخرى ، وكان سعيد وهشام على حق ، وكان مسلمة على خطأ .  
وصالح مسلمة أهل ( خيزان ) وأمر بحصنها فهدم<sup>(٢٤٥)</sup> ، مما يدل  
على تكرار انتفاضها وشدة مقاومتها للفاتحين .

وسالم مسلمة ملوك الجبال : جبال القفقاس ، وسار إليه صاحب  
( مَسْقَط )<sup>(٢٤٦)</sup> .

وهاجم مسلمة مدينة ( باب الأبواب ) ، وكان في قلعتها ألف أهل بيت  
من الخزر ، فحاصروهم ورماهم بقنابل الحجارة والحديد ، فلم ينتفع بهذا  
القصف ، وبقيت المدينة ثابتة .

(٢٤٣) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المشرق الاسلامي .

(٢٤٤) فتوح البلدان (٢٩٠) .

(٢٤٥) فتوح البلدان (٢٩١) .

(٢٤٦) فتوح البلدان (٢٩١) .

وعمد مسلمة إلى العين التي كان أنو شيروان أجرى منها الماء إلى صهريج المدينة ، فذبح البقر والغنم ، وألقى فرثها وفضلاتها الأخرى في الصهريج ، فلم يمكث مأوهم إلاَّ ليلة حتى دود وأنتن وفسد ، فلما جنّ عليهم الليل هربوا وأخذوا القلعة <sup>(٢٤٧)</sup> ، وهكذا استعاد مسامة مدينة ( باب الأبواب ) بعد حصار طويل وقتال مرير .

ووطد مسلمة العزم على ترصين مدينة باب الأبواب لجعلها قاعدة متقدمة للمسلمين ، فأسكن المدينة أربعة وعشرين ألفاً من أهل الشام على العطاء ، فأهل الباب لا يدعون عاملاً يدخل مدينتهم إلاَّ معه مال يفرقه بينهم <sup>(٢٤٨)</sup> . وبني مسلمة في مدينة باب الأبواب هريراً للطعام ، وهريراً للشعير ، وخزانة للسلاح ، وأمر بتطهير صهريج المدينة ، ورمّ المدينة وشرفها <sup>(٢٤٩)</sup> . وهكذا جعل مسامة من هذه المدينة قاعدة أمينة متقدمة في محاولة لعدم انتقاضها مرة أخرى ، ولكي ينطلق منها المسلمون شمالاً لحماية البلاد المفتوحة ولاضافة فتح جديد .

وقد فرّ الخزر من مدينة باب الأبواب باتجاه منطقة باب ( اللان ) ، فطاردهم مسلمة إلى هناك للقضاء عايهم وإجبار قراتهم الضاربة على الاستسلام . ولقي مسلمة ( خاقان ) <sup>(٢٥٠)</sup> في جموعه ، فنشب بين الجانبين قتال مرير استغرق قريباً من شهر ، وأصابهم مطر شديد ، فانهمز خاقان في السابح من جمادى الآخرة من هذه السنة .

وهذه الغزوة تسمى غزوة الطّين ، وكانت ملحمة عظيمة ، لهطول الأمطار الغزيرة التي جعلت ساحة المعركة تغصّ بالطّين <sup>(٢٥١)</sup> .

(٢٤٨) فتوح البلدان (٢٩١) .

(٢٤٧) فتوح البلدان (٢٩١) .

(٢٤٩) فتوح البلدان (٢٩١) .

(٢٥٠) الخاقان : لقب ملك الترك ، ومعناه : الملك .

(٢٥١) النجوم الزاهرة (٢٦٧/١) وتاريخ الاسلام (٣٠٤/٤) .

أقد قضى مسلمة هذه السنة صيفاً وشتاءً غازياً ، وكان من عادة المسلمين أن يغزوا الصائفه ويستقرّوا في الشتاء ، ولكن سير الحوادث في تلك السنة أجبره على ألاّ يُريّح ولا يستريح ، للقضاء على مقاومة الخزر الاشداء الاقوياء المتمرسين على الحروب الجبلية .

وفي سنة ثلاث عشرة ومئة الهجرية ( ٧٣١ م ) ، فرق مسلمة الجيوش ببلاد خاقان ، ففتحت مدائن وحصوناً على يديه ، وقتل منهم وأسر وسبى وأحرق ، ودان له مَنْ وراء جبال ( بَلَنْجَر ) من بلاد الخزر ، وقتل ابن خاقان (٢٥٢) ، فاجتمعت تلك الأمم جميعها : الخزر والترك وغيرهم عليه في جمع لا يعلم عددهم إلاّ الله . وكان مسلمة قد جاوز مدينة ( بَلَنْجَر ) ، فلما بلغه خبرهم ، أمر أصحابه فأوقدوا النيران ، ثم ترك خيامهم وأثقالهم ، وعاد وعسكره جريدة (٢٥٣) ، وقدم الضعفاء وأخّر الشجعان ، وطووا المراحل : كلّ مرحلتين في مرحلة واحدة ، حتى وصل إلى ( الباب ) في آخر رمق (٢٥٤) ، فأكمل بناء الباب وحصنها (٢٥٥) .

وفي سنة أربع عشرة ومئة الهجرية ( ٧٣٢ م ) ، استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحَكَم وهو ابن عمّه على ( الجزيرة ) و ( أذربيجان ) و ( إرمينية ) وعزل أخاه مسلمة (٢٥٦) ، فعاد أدراجه إلى دمشق . ولم يكن الموقف العسكريّ بصالح المسلمين عند عزل مسلمة ، وما نثل مسلمة يرضى بأن يتخلّى عن القيادة ، والبلاد التي بأمرته ورجاله والمسلمون في موقف عصيب .

(٢٥٢) في المعارف (٣٦٥) : انه قتل ملك الترك .

(٢٥٣) الجريدة : خيل لا رجالة فيها ، ويقصد : أن الجيش كان مسرعاً كسرعة الخيالة .

(٢٥٤) ابن الأثير (١٧٣/٥-١٧٤) .

(٢٥٥) المعارف (٣٦٥) وانظر تاريخ ابن خياط (٣٥٩/٢) .

(٢٥٦) ابن الأثير (١٧٧/٥) والنجوم الزاهرة (٢٧٣/١) وابن خلدون (٣٠٠/٣) .



ولم يكن هشام ليُعزل مسلمة الذي كان الرجل الثاني في الدولة بدون مرافقة مسلمة المسبقة ، وليس من المعقول أن يُعزل مسلمة لقلة كفايته ، لأنّ كفايته فوق الشبهات ، ولأنّ هشام بن عبد الملك ولاه كفايته المتميزة ، ليعيد سيطرة الدولة على تلك الأصقاع النائية .

ومما يلفت النظر ، أنّ مسلمة لم يَغزُ ولم يتول ولاية أو قيادة منذ سنة أربع عشرة ومئة الهجرية ( ٧٣٢ م ) ، حتى توفاه الله سنة عشرين ومئة الهجرية ( ٧٣٧ م ) أو إحدى وعشرين ومئة الهجرية ( ٧٢٨ م ) .

وغيابه عن تحمّل أعباء الجهاد ، وهو مَنْ هو كفاية وحرصاً على النهوض بهذا الواجب ، ليس طبيعياً ، بالرغم من ثقة هشام به ثقة مطلقة ، وبالرغم من حاجة الدولة إلى أمثاله من القادة الأفذاذ في مثل تلك الظروف الحرجة . وإذا كان بالامكان أن يتخلى مسلمة عن تولي المناصب الادارية ، فليس بالامكان أن يتخلى عن تولي المناصب القيادية ، وهو الذي يؤثر أن يكون غازياً لا والياً ، فقد حمل السّلاح قائداً وهو لم يتجاوز العشرين من عمره ، وقضى كلّ سنيّ حياته في ساحات الجهاد قائداً حتى سنة أربع عشرة ومئة الهجرية ، فمن المعقول أنه تخلى عن تولي المناصب القيادية لأسباب خارجة عن إرادته .

والذي يبدو أنّ تخليه عن تولي القيادة ، لم يكن بارادته ولا بارادة الخليفة هشام ، بل تخلى عنها مُكرها ، وذلك لاصابته بمرض أقعده عن تولي هوايته المفضلة ، ومن المعروف أنّ من مزايا القائد المتميّز تمتّعه بالقابلية البدنية المتميّزة ، يستطيع تحمّل أعباء الجهاد ، وما أثقلها من أعباء .

والإلاّ فليس هناك أيّ سبب آخر يسوّغ ابتعاده عن ساحات الجهاد غير المرض الذي أقعده عن قيادة الجيوش بكفاية وقوة وأمانة .

٤ - جهاد الجراح بن عبدالله الحكمي (٢٥٧)

أ : في سنة أربع ومئة الهجرية (٧٢٢) م ، ولّى يزيدُ بن عبدالمملك الجراح بن عبدالله الحكمي إرمينية . (٢٥٨)

وسبب تولية الجراح ، أنّ المسلمين في سنة ثلاث ومئة الهجرية (٧٢١ م) ، دخلوا بلاد الخزر ( القفقاس ) من إرمينية وعليهم ثُبَيّت التّهرازيّ (٢٥٩) ، فاجتمعت الخزر في جمع كثير ، وأعانهم الترك من مختلف أنواعهم ، فلقوا المسلمين في موضع يُعرف بـ ( مُرْج الحجارة ) . ونشب القتال بين الجانبين بشدة وعُنف ، فقتل من المسلمين بشر كثير (٢٦٠) واستولى الخزر على معسكرهم ، وغنموا جميع ما فيه (٢٦١) ، وذلك في عزّ الشتاء من شهر رمضان من سنة ثلاث ومئة الهجرية (٢٦٢) (٧٢١ م) . وهكذا تجمّعت على المسلمين حُشود الخزر الضخمة وحلفاؤهم ، وبرد الشتاء القارس في عنفوانه ببلاد جبلية باردة جداً ، فأدّى هذان العلامان إلى هزيمتهم .

وأقبل المنهزمون إلى الشّام ، على يزيد بن عبدالمملك وفيهم ثُبَيّت ، فوبّخهم يزيد ، فقال ثُبَيّت : « ياأمير المؤمنين ! ماجبتُ ولا نكبتُ عن لقاء العدو ، ولقد لصقتِ الخيل بالخيّل والرجل بالرجل ، ولقد طاعنت حتى انقص رمحي ، وضاربت حتى انقطع سيفي ، غير أنّ الله سبحانه وتعالى

(٢٥٧) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المشرق الاسلامي .  
(٢٥٨) ابن الأثير (١١١/٥) وتاريخ خليفة ابن خياط (٣٣٧/١) والعبر (١٢٦/١) وتاريخ الموصل (١٧) .

(٢٥٩) في تاريخ خليفة بن خياط (٣٣٦/١) : أن قائد المسلمين كان معلق بن صفار البهراني  
(٢٦٠) في تاريخ خليفة بن خياط (٣٣٦/١) : فأصيب من المسلمين جميعاً .  
(٢٦١) ابن الأثير (١١٥/٥) .  
(٢٦٢) تاريخ خليفة بن خياط (٣٣٦/١) .

يفعلُ ما يُريدُ » (٢٦٣) .

ولما تمت الهزيمة على المسلمين ، طمع الخزر في البلاد ، فجمعوا وحشدوا ، فاستعمل يزيدُ بن عبد الملك على إرمينية وأذربيجان الجراح ابن عبد الله الحَكَمِيّ ، وأمدّهُ بجيش كثيف ، وأمرهُ أن يغزو الخزر وغيرهم من الأعداء ، وقصدَهم في عقر دارهم . وتسامع الخزر وحلفاؤهم بقدوم المسلمين ، فلجأوا إلى مدينة ( باب الأبواب ) . ووصل الجراح إلى مدينة ( بردّعة ) (٢٦٤) ، فأقام بها حتى استراح هو ومن معه . وتوجه نحو الخزر ، فعبر نهر ( الكرّ ) (٢٦٥) فسمع أن بعض من كان معه في جيشه من أهل الجبال ( جبال القفقاس ) قد كاتب ملك الخزر يخبرهُ بمسير الجراح إليه ، فأمر مناديه فنادى بالناس : « إنّ الأمير مقيم ههنا مدة أيام ، فاستكثروا من الميرة » ، فكتب ذلك الرجل إلى ملك الخزر يخبرهُ أنّ الجراح مقيم ، ويشير عليه بترك الحركة لئلا يطعم المسلمون فيه (٢٦٦) .

ولما كان الليل ، أمر الجراح بالرحيل ، فسار مُجِداً حتى انتهى إلى مدينة ( باب الأبواب ) ، فلم ير الخزر ، ويبدو أنهم انسحبوا بسرعة من المدينة إلى منطقة حشودهم ، فدخل المسلمون المدينة ، وبثّ الجراح سراياه على ما يجاور المدينة ، فغنموا وعادوا في الغد .

وسار الخزر وحلفاؤهم إلى المسلمين بقيادة ابن ملكهم ( ابن خاقان ) ، فالتقوا عند نهر ( الرّان ) (٢٦٧) ، فنشب القتال الشديد بين الجانبين ، وحرص

(٢٦٣) ابن الأثير (١١١/٥) .

(٢٦٤) بردّعة : مدينة من مدن إرمينية الأولى ، انظر التفصيل في معجم البلدان (١١٩/٢-١٢٢)

(٢٦٥) نهر الكر : نهر ينبع من كورة جرزان ( جورجيا ) من جبال ( جلدیر ) ويمر بمدينة تفليس ، ويبلغ طوله نحو ( ٩٤٠ كم ) ، انظر ما جاء عن هذا النهر في : معجم البلدان

(٢٦٦) ابن الأثير (١١١/٥) .

(٢٦٧) نهر الران : هو نهر ( أران ) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢١٣/٣-٢١٤) ، ومنطقة أران من إرمينية الأولى .

الجرّاح أصحابه ، فظفر المسلمون بالخزر وهزموهم ، فطاردهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فقتل منهم خلق كثير ، وغنم المسلمون جميع مامعهم ، وفتح حصن ( الحُصَيْن ) سلماً ، ونقل أهله عنه .

وسار الجرّاح بالمسلمين إلى مدينة ( يَرَغُوا ) (٢٦٨) ، فأقام عليها ستة أيام ، وهو مجد في قتال أهلها ، فطلبوا الأمان ، فأمنهم ونقلهم منها (٢٦٩) . وسار الجرّاح إلى ( بَلَنْجَر ) وهو حصن مشهور من حصونهم ، وكان أهل الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عجلة ، شدّوا بعضها إلى بعض وجعلوها حول حصنهم ليحتموا بها ، وتمنع المسلمين من الوصول إلى الحصن ، وكانت تلك العجل أشدّ شيء على المسلمين في قتالهم (٢٧٠) .

وخرج رجل من المسلمين فقال : « مَنْ يَشْرِي الله نفسه ؟ » ، فأجابته جماعة ما بلغت عدّتهم ثلاثين رجلاً ، فكسروا جفون سيرفهم ، وشدّوا على العجل ، وأجلوا الرجال عنها ، وأخذوا عجلة منها (٢٧١) .

وحدّ الخزر بقتالهم ، ورموا من الشباب ما كان يحجب الشّمس ، فلم يتراجع مغاوير المسلمين حتى وصلوا إلى العَجَل ، وتعلقوا ببعضها ، وقطعوا العجل الذي يمسكها ، وجذبوها ، فأنحدرت . وتبعها سائر العَجَل ، لأنّ بعضها كان مشدوداً إلى بعض ، وانحدر الجميع إلى المسلمين (٢٧٢) .

والتحم القتال واشتدّ . وعظم الأمر على الجميع ، حتى بلغت القلوب الحناجر ، فانهزم الخزر وحلفاؤهم ، واستولى المسلمون على الحصن عنوةً ،

(٢٦٨) يرغوا : لم أجد لهذه المدينة ذكراً في معجم البلدان ، وقد وردت في كتاب : تاريخ خليفة بن خياط (٣٣٧/١) : يزعوا .

(٢٦٩) ابن الأثير (١١٢/٥) .

(٢٧٠) ابن الأثير (٢٠٥/١) .

(٢٧١) تاريخ خليفة بن خياط (٣٣٧/١) .

(٢٧٢) تاريخ خليفة بن خياط (٣٣٧/١) .

(٢٧٣) كان فتح بلنجر يوم الأحد ثلاث خلون من ربيع الأول ، انظر خليفة بن خياط (٣٣٧/١) .

وأصابوا جميع ما فيه غنائم للمسلمين ، فأصاب الفارس ثلاثمائة دينار ، وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً ، وكانت تلك المعركة في ربيع الأول (٢٧٣) من سنة أربع ومئة الهجرية (٢٧٤) .

وسار الجراح عن ( بَلَنْجَر ) بعد أن أسر أولاد صاحب ( بَلَنْجَر ) وأهله ، فبعث الجراح إياه وأحضره وردّ أموانه وأهله وحصنه إليه ، وجعله عيناً للمسلمين يخبرهم بما يفعله الخزر وحلفاؤهم .

ونزل المسلمون على حصن ( الربندر ) (٢٧٥) وبه نحو أربعين ألف بيت من الترك ، فصالحوا الجراح على مال يؤدّونه . (٢٧٦)

وسار الجراح إلى ( وَرْتَان ) (٢٧٧) ، فأدركه الشتاء ، فأقام المسلمون فيها .

وكتب الجراح إلى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه ، وأن أهل تلك البلاد تجمعوا وأخذوا الطرق على المسلمين ، ويسأله المدد .

ووعده يزيد أن يبعث بالمدد إلى الجراح ، ولكنّ الأجل أدركه قبل قبل أن يبعث بما وعد به ، فأرسل هشام بن عبد الملك إلى الجراح المدد ، وأقرّه على عمله . (٢٧٨)

ب : وفي سنة خمس ومئة الهجرية (٧٢٣ م ) ، زحف الترك نحو إرمينية وزحف الجراح لصدّ زحف الترك ، فالتقى الجانبان في موضع يقال

(٢٧٤) ابن الأثير (١١٢/٥) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٣٧/١) .

(٢٧٥) ونبر : لم أجد لهذا الحصن ذكراً في كتاب : معجم البلدان ، ويبدو من سير القتال أنه يقع في منطقة أران .

(٢٧٦) ابن الأثير (١١٢/٥) .

(٢٧٧) تاريخ خليفة بن خياط (٣٣٨/١) ، وفي ابن الأثير (١١٣/٥) : أنه عاد إلى رستاق (ملي) .

(٢٧٨) ابن الأثير (١١٣/٥) .

له : ( الزم ) ، ( ٢٧٩ ) بين نهري ( الكر ) و ( الرّس ) من إرمينية في شهر رمضان من هذه السنة ، واستمرّ القتال أياماً ، فانهزم الترك . ( ٢٨٠ )

والظاهر أنّ المدد الذي وعد الخليفة هشام بن عبد الملك بإرساله إلى إرمينية قد وصل إلى الجراح في الوقت المناسب ، فاستأنف المسلمون استعادة ما انتقض من إرمينية ، فغزا الجراح ( اللان ) ( ٢٨١ ) ، وهي بلاد واسعة غنيّة ، فاستعاد الجراح فتحها وفتح مدائن وحصوناً وراء ( بلنجر ) ، وأصاب غنائم كثيرة ( ٢٨٢ ) ج : وفي سنة ست ومئة الهجرية ( ٧٢٤ م ) ، غزا الجراح بلاد ( اللان ) ، فصالح أهلها وأدّوا الجزية ( ٢٨٣ ) ، بعد أن أوغل في بلاد الخزر ، وهو أول من قفل من باب ( اللان ) في إرمينية ( ٢٨٤ ) .

د : وفي سنة سبع ومئة الهجرية ( ٧٢٥ م ) ، عزل هشام بن عبد الملك الجراح عن إرمينية وأذربيجان وولّاها أخاه مسلمة بن عبد الملك ( ٢٨٥ ) . ولم يذكر المؤرخون سبباً لعزل الجراح عن إرمينية وأذربيجان ، لأنّ الجراح لم يقصّر في واجبه قائداً وإدارياً ، كما إنّ نزاعه كانت فوق الشبهات ويبدو أنّ هشام بن عبد الملك أراد أن يستفيد من كفاية أخيه مسلمة القيادية في منطقة نائية جبلية اشتدّ فيها القتال وكثرت الخسائر ، فعزل الجراح واستعمل أخاه .

( ٢٧٩ ) الزم : بلدة على طريق جيحون من ترمذ وآمل ، انظر معجم البلدان ( ٤٠٥/٤٥ ) ، وليست هي المقصودة هنا ، لبعدها عن ساحة القتال ، بل هي موضع بين نهري ( الكر ) و ( الرّس ) في إرمينية .

( ٢٨٠ ) تاريخ خليفة بن خياط ( ٣٣٩/١ ) .

( ٢٨١ ) اللان : بلاد واسعة في طرف إرمينية قرب مدينة ( باب الأبواب ) مجاورة للخزر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ١٣٤/٥ ) .

( ٢٨٢ ) ابن الأثير ( ١٢٥/٥ ) وتاريخ خليفة بن خياط ( ٣٣٩/١ ) والبداية والنهاية ( ٢٣١/٩ ) .

( ٢٨٣ ) ابن الأثير ( ١٣٤/٥ ) .

( ٢٨٤ ) تاريخ خليفة بن خياط ( ٣٤٩/٢ ) .

( ٢٨٥ ) ابن الأثير ( ١٣٧/٥ ) .

هـ : وفي سنة إحدى عشرة ومئة الهجرية (٧٢٩ م) ، استعمل هشامُ بن عبد الملك الجراح ثانية على إرمينية وأذربيجان ، وعزل أخاه مسلمة بن عبد الملك (٢٨٦) .

ودخل الجراح بلاد الخزر من ناحية ( تَفْلَيْس ) ، واستعاد فتح مدينة من مدن الخزر هي مدينة ( البيضاء ) ( ٢٨٧ ) ، ثم انصرف سالماً ( ٢٨٨ ) .

وجمعت الخزر جموعاً كثيرة بقيادة ابن خاقان ، فدخلوا إرمينية ، ثم سار ابن خاقان ، فحاصر ( أَرْدَبِيل ) ( ٢٨٩ ) .

و : وفي سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية ( ٧٣٠ م ) ، زحف الجراح من ( بَرْدَعَة ) ( ٢٩٠ ) ، وكان الخزر والترك قد حشدوا جموعهم من ناحية ( اللان ) . وعسكر الجراح ومن معه بمرج ( أَرْدَبِيل ) ، وقاتل جموع الخزر والترك أشد قتال رآه الناس ، فصبر الفريقان صبراً جميلاً ( ٢٩١ ) .

وتكاثر الخزر والترك على المسلمين ، فاستشهد الجراح اثنان بقيين من رمضان سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية ، وغلبت الخزر على أذربيجان وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا مدينة ( الموصل ) ، وعظم الخطب على المسلمين ( ٢٩٢ ) ، وتكبدوا خسائر فادحة بالأرواح والأموال.

---

( ٢٨٦ ) ابن الأثير ( ١٥٨/٢ ) وتاريخ الاسلام ( ٣٠٢/٤ ) والنجوم الزاهرة ( ٢٧٠/١ ) وابن خلدون ( ٢٩٩/٣ ) .

( ٢٨٧ ) البيضاء : مدينة بلاد الخزر خلف باب الأبواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٣٥/٢ ) .

( ٢٨٨ ) ابن الأثير ( ١٥٨/٥ ) وتاريخ خليفة بن خياط ( ٣٥٤/٢ ) .

( ٢٨٩ ) تاريخ خليفة ابن خياط ( ٣٥٤-٣٥٥/٢ ) .

( ٢٩٠ ) تاريخ خليفة بن خياط ( ٣٥٥/٢ ) .

( ٢٩١ ) ابن الأثير ( ١٥٩/٥ ) وتاريخ خليفة بن خياط ( ٣٥٦/٢ ) .

( ٢٩٢ ) ابن الأثير ( ١٥٩/٥ ) وتاريخ خليفة بن خياط ( ٣٥٦/٢ ) .

## ٦ : جهاد سعيد بن عمرو الحرشي

لما بلغ هشام بن عبد الملك خبر استشهاد الجراح بن عبد الله الحكمي ، دعا سعيداً الحرشي ، فقال له : « بلغني أن الجراح قد انحاز عن المشركين ! » قال : « كلاً يا أمير المؤمنين ! الجراح أعرف بالله من أن ينهزم ، ولكنه قُتل » قال : « فما رأيك ؟ » ، قال : « تبعثني على أربعين دابة من دواب البريد ، ثم تبعث إلي كل يوم أربعين رجلاً » ، ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافوني » ، ففعل ذلك هشام (٢٩٣) وولاه مقدمة مسلمة بن عبد الملك (٢٩٤) الذي ولاه إرمينية وأذربيجان (٢٩٥) .

وسار الحرشي ، فكان لا يمر بمدينة إلا ويستنهض أهلها ، فيجيبه من يريد الجهاد في سبيل الله .

ووصل إلى مدينة (أَرْزَن) (٢٩٦) ، فلقبه جماعة من أصحاب الجراح وبكراً وبكى ابكائهم ، ففرق بينهم نفقة وردّهم معه .

ووصل الحرشي على رأس المقدمة التي كانت مؤلفة من جيش كامل - وإنما سميت مقدمة لأن الحرشي انطلق بسرعة قبل مسامة - وصل إلى (خِلاط) ، (٢٩٧) وفتح الحصون والقلاع شيئاً بعد شيء ، إلى أن وصل إلى (بَرْذَعَة) (٢٩٨) بعد فتح (خِلاط) عشوة .

ونزل (بَرْذَعَة) ، وكان ابن خاقان يومئذ بأذربيجان يغبر وينهب ويسبي

(٢٩٣) ابن الأثير (١٥٩/٥-١٦٠) ، وانظر الطبري (٧٠/٧) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٦٥/٢) (٢٩٤) فتوح البلدان (٢٩٠) . (٢٩٥) فتوح البلدان (٢٩٠) .

(٢٩٦) أرزن : مدينة مشهورة قرب خلاط ، ولها قلعة حصينة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٠/١-١٩١) .

(٢٩٧) خلاط : مدينة مشهورة ، وهي قصبة إرمينية الرابعة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٥٣/٣) .

(٢٩٨) برذعة : مدينة كبيرة جداً في إرمينية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١١٩/٢-١٢٢)



ويقتل وهو محاصر مدينة ( وَرْثَان ) (٢٩٩) ، فخاف الحرشيّ أن يملكها ، فأرسل بعض أصحابه إلى أهل ( وَرْثَان ) سِرّاً يعرفهم بوصوله ويأمرهم بالصّبر ؛ فسار الرّسول ولقيه بعض الخزّر ، فأخذوه وسألوه عن حاله ، فأخبرهم وصدقهم ! وقال الخزّر له : إن فعلت ما نأمرك به ، أحسنّا إليك وأطلقناك ، وإلاّ قتلناك . قال : « فما الذي تريدون ؟ » ، قالوا : تقول لأهل ( وَرْثَان ) : إنكم ليس لكم مدد ولا منّ يكشف ما بكم ، وتأمرهم بتسليم البلد إلينا . . . فأجابهم إلى ذلك .

وقارب الرّجلُ المسلمُ المدينة ، فوقف بحيث يسمع أهلها كلامه ، والخزّر يترصّدونه ويسمعون كلامه ، فقال لأهل ( وَرْثَان ) : « أنعرفوني ؟ » ، قالوا : نعم ، أنت فلان ! قال : « فإنّ الحرشيّ قد وصل إلى مكانه كذا في عساكر كثيرة ، وهو يأمركم بحفظ البلد والصّبر ، وفي هذين اليومين يصل إليكم » ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير والتّهليل .

وقتل الخزّر ذلك الرّجل ، ثمّ رحلوا عن مدينة ( وَرْثَان ) ، فوصلها الحرشيّ في العساكر وليس فيها أحد من الخزّر .  
وارتحل الحرشيّ يطلب الخزّر في ( أَرْدَبِيل ) (٣٠٠) ، فانسحب الخزّر منها .

ونزل الحرشيّ ( باجرَوَان ) (٣٠١) ، فجاءه منّ يخبره أنّ الخزّر في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من أهل بيت من المسلمين أسارى وسبايا ، وقد

---

(٢٩٩) ورثان : بلد هو آخر حدود أذربيجان ، بينه وبين نهر ( الرس ) فرسخان ، وبين ورثان وبلغان سبعة فراسخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١٣/٨-٤١٤) .  
(٣٠٠) أردبيل : من أشهر مدن أذربيجان ، وكانت قبل الفتح الاسلامي قسبة أذربيجان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٢/١-١٨٤) .  
(٣٠١) باجروان : مدينة من نواحي ( باب الأبواب ) قرب مدينة ( سروان ) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤/٢) .

نزلا على بُعد أربعة فراسخ من مكانه الذي هو فيه .

وسار الحرشي ليلاً ، فوافي الخزَر آخر الليل وهم نيام ، ففرق أصحابه في أربع جهات ، وكبَس الخزَر مع الفجر ، ووضع المسلمون فيهم السيوف . فما بزغت الشمس حتى أُبَيْدَ الخزَرُ ، وحتى أصبح أسرى المسلمين وسباياهم أحراراً ، فأخذهم الحرشي معه إلى ( باجروان ) .

ولم يكذ يستقر به المقام في ( باجروان ) إلا أنه من يخبره بأن الخزَر معهم أموال المسلمين وحرَم الجُرّاح وأولاده في مكان قريب .

وأسرع الحرشي إلى هدفه الجديد ، فلم يشعر الخزَر إلا والمسلمون معهم ، فوضعوا فيهم السيوف وقتلوا كيف شاؤوا ، ولم يفلت من الخزَر إلا الشريد ، واستنقذ المسلمون من معهم من المسلمين والمسلمات الأسرى والسبايا ، وغنموا أموالهم ، وأخذوا أولاد الجُرّاح وحرّمه وأكرمواهم وأحسنوا إليهم ، وحملوا الجميع إلى ( باجروان ) أيضاً .

وبلغ ما فعله الحرشي بعساكر الخزَر ابن ملكهم ، فوبّخ عساكره وذمهم ونسبهم إلى العجز والوهن ، فحرّض بعضهم بعضاً ، وأشاروا عليه بجمع أصحابه والعود إلى قتال المسلمين .

وجمع ابنُ ملك الخزَر أصحابه من نواحي أذربيجان ، فاجتمع معه جيش كثيف .

وسار الحرشي إلى جموع الخزَر ، فالتقى المسلمون بالخزر في أرض ( برزند ) ( ٣٠٢ ) ، فنشب القتال بين الجانبين بشدة وعنف . وانحاز المسلمون وقتاً يسيراً ، وتصدّعت صفوفهم ، ولكن الحرشي حرّضهم على القتال وأمرهم بالصبر ، فعادوا إلى القتال وصدّقوهم الحملة .

( ٣٠٢ ) برزند : بلدة من نواحي قفليس من أعمال جرجان من إرمينية الأولى ، بينها وبين أردبيل خمسة عشر فرسخاً ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ١٢٤/٢ ) .

واستغاث مَنْ مع الخَزَر من أسارى المسلمين ، ونادوا بـالتكبير والتّوايل والدُّعاء ، فتصاعد استقتال المسلمين ، ولم يبق أحد إلاّ بكى ابكاء الأسرى . واشتدّت حملة المسلمين على الخَزَر ، فولّوا الأدبار منهزمين ، فطاردهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر ( الرّس ) ( ٣٠٣ ) ، ثمّ عادوا عنهم بعد أن أطلقوا أسرى المسلمين وسبّايهم ، وغنموا أموال الخَزَر ، وساروا عائدين أدرّاجهم إلى قاعدتهم المتقدّمة : ( باجروان ) .

وجمع ابن ملك الخَزَر مَنْ لحق به من عساكره ، وكرّ راجعاً إلى المسلمين ، فترّل على نهر ( البَيْلَقَان ) ( ٣٠٤ ) ، فالتقى الخَزَر بالمسلمين هناك .

وحمل المسلمون على الخزر حملة صادقة، في منطقة نهر ( البَيْلَقَان ) ، فتضعضت صفوف الخَزَر . وتتابعت حملات المسلمين ، فصبر الخَزَر صبراً عظيماً، ثمّ كانت الهزيمة عليهم ، فولّوا الأدبار منهزمين ، وكان مَنْ غرق في النهر منهم أكثر مِمَّن قُتِل .

وجمع الحرّشيّ الغنائم ، وعاد إلى ( باجروان ) فقسّمها ( ٣٠٥ ) .

وقدّم مَسْلَمَةُ بن عبد الملك إرمينية ، والخَزَر قد انسحبوا إلى ( مِيْمَذ ) ( ٣٠٦ ) ، والحرّشيّ يستعدّ لقتالهم ، فأناه كتاب مَسْلَمَةَ يلومه على قتاله الخَزَر قبل قدومه ، ويُعْلِمُهُ أنه قد عزّاه ووائى قيادة جيشه غيره .

وسلم الحرّشيّ القيادة لخلفه ، فأخذه رسول مَسْلَمَةَ وقيّده وحبسه في سجن ( بَرْدَعَة ) .

( ٣٠٣ ) نهر الرس : نهر مخرجه من ( قايقلا ) ويمر بأران ثم يمر بورثان ثم يمر بالجمع فيجتمع هو ونهر الكرويينهما مدينة البيلقان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٥٠/٤ - ٢٥١ ) .

( ٣٠٤ ) البيلقان : مدينة قرب ( باب الأبواب ) تمتد من إرمينية الأولى قريبة من ( شروان ) انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٤٠/٢ - ٣٤١ ) .

( ٣٠٥ ) ابن الأثير ( ١٥٩/٥ - ١٦٢ ) .

( ٣٠٦ ) ميمذ : مدينة بأران في إرمينية الأولى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٢٧/٨ ) .

وكتب مَسْلَمَة إلى هشام بن عبد الملك بما حدث ، فكتب هشام إلى مَسْلَمَة :

أتركهم بميمد قد تراهم وتطلبهم بمنقطع الطريق !  
وأمر هشام بإطلاق سراح الحرشي من سجنه (٣٠٧) ، فرحل إلى دمشق (٣٠٨)

#### ٧ : جهاد مروان بن محمد بن مروان الأموي

تولّى مَسْلَمَة بن عبد الملك إرمينية وأذربيجان للمرة الثالثة سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية ( ٧٣٠ ) بعد استشهاد الجراح بن عبد الله الحكمي كما ذكرنا ، وكان معه ابن عمه مروان بن محمد بن مروان ، فنازل مروان الخزر مع مسلمة وأبلى وقاتل قتالاً شديداً (٣٠٩) .

وفي سنة أربع عشرة ومئة الهجرية ( ٧٣٢ م ) ، استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان وهو ابن عمه على ( الجزيرة ) وأذربيجان وإرمينية وعزل مَسْلَمَة بن عبد الملك أخاه عن إرمينية وأذربيجان (٣١٠) ، وكان ذلك في مستهل شهر المحرم من هذه السنة (٣١١) .

وسير هشام الجنود من الشام والعراق والجزيرة إلى إرمينية ، فاجتمع عند مروان من الجنود والمتطوعة مئة وعشرون ألفاً . وأظهر مروان بعد إكمال حشد رجاله أنه يريد غزو ( اللان ) وقصد بلادهم ، وأرسل إلى ملك الخزر يطلب منه المهادنة فأجابه إلى ذلك ، وأرسل ملك الخزر إلى مروان وفداً لتقرير شروط الصلح ، فأمسك مروان الوفد عنده إلى أن فرغ من جهازه ، ثم أغلظ للوفد الخزري القول وأذنه بالحرب . وسير مروان وفد الخزر إلى ملكهم بذلك ، ووكل به من يسيره

(٣٠٧) فتوح البلدان (٢٩٠) . (٣٠٨) ابن الأثير (١٦٢/٥) .

(٣٠٩) فتوح البلدان (٢٩٢) .

(٣١٠) الطبري (٩٠/٧) وابن الأثير (١٧/٥) والنجوم الزاهرة (٢٧٢/١) .

(٣١١) تاريخ خليفة بن خياط (٣٥٩/٢) .

على طريق فيه بُعد ، ثم انطلق هو في أقرب الطرق ، فما وصل الرغد الخزري إلى ملكهم إلا ومروان قد وافاهم . وأعلم الوفد ملك الخزر بإخفاق المفاوضات مع المسلمين ، وأنهم قد قرروا الحرب ، فاستشار الملك أصحابه ، فقالوا : إن مروان قد أغرَكَ ودخل بلادك ، فإن أقمَت إلى أن تجمع رجالك ، لم يجتمع عندك إلى مدّة فيبلغ منك ما يريد ، وإن أنت لقيته على حالك هذه هزمك وظفر بك ، والرأي أن تنسحب إلى أقصى بلادك وتدعّه وما يريد . فقَبِلَ رأيهم وسار حيث أمره .

ودخل مروان البلاد وأوغل فيها وأخربها وغنم وسبى حتى انتهى إلى آخرها في توغّله ، وأقام فيها عدّة أيام حتى أذلّ الخزر وانتقم منهم . (٣١٢)

وفي رواية ، أن ملك الخزر حين بلغه كثرة مَنْ وطئ به مروان ببلاده من الرجال وما هم عليه في عدّتهم وقوتهم ، امتلأ قلبه رعباً . ولما دنا مروان من عاصمة ملك الخزر ، أرسل إلى ملك الخزر رسولاً يدعوه إلى الإسلام أو الحرب . فقال الملك : « قد قبلت الإسلام ، فأرسل إليّ مَنْ يعرضه عليّ » ، ففعل مروان .

وأظهر ملك الخزر الإسلام ، ووادع مروان الذي أقرّه في مملكته ، وسار مروان مع الملك بخلق من الخزر ، فأنزلهم ما بين ( السّمُور ) و ( الشّابَران ) (٣١٣) في سهل أرض ( التّلكُز ) (٣١٤) .

وكان مروان قبل أن يتقدّم إلى بلاد الخزر ، قد نزل مدينة ( كَسال ) وهو الذي بنى مدينتها وهي من ( بَرْدَعة ) على أربعين فرسخاً ، ومن ( تَفْلَيْس )

(٣١٢) ابن الأثير (١٧٨/٥) .

(٣١٣) السّمور والشّابَران : لم أجد لمدينة السّمور ذكراً في معجم البلدان ، أما الشّابَران ، فهي مدينة من أعمال أَران ، بينها وبين مدينة شروان نحو عشرين فرسخاً ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٥/٥) ، والظاهر أن مدينة السّمور في تلك المنطقة أيضاً قريبة من الشّابَران .

(٣١٤) فتوح البلدان (٢٩٢) .

على عشرين فرسخاً ، ثم دخل أرض الخزَر مما يلي باب ( اللان ) برتل تحت قيادته ، وأمر أسيد بن زافر السُلَميّ أبا يزيد ومعه ملوك الجبال أن يدخل أرض الخزَر من ناحية ( باب الأبواب ) على رأس رتل آخر ، فأغار مروان على ( صقابة )<sup>(٢١٥)</sup> كانوا بأرض الخزَر . فسبى منهم عشرين ألف بيت ، وأسكنهم ( خاخيط ) ، ولكن الصقابة قتلوا أميرهم وهربوا ، فطاردهم مروان وقتلهم<sup>(٢١٦)</sup> ودخل مروان بلاد ملك ( السّري )<sup>(٢١٧)</sup> ، فأوقع بأهله وفتح قلاعاً ودان له الملك وصالحه على ألف رأس : خمسمائة غلام وخمسمائة جارية في كل سنة ، وعلى مئة ألف مُدني<sup>(٢١٨)</sup> تحمل إلى أهراء مدينة ( الباب ) ، وأخذ منه الرهن . وصالح مروان أهل ( ترومان )<sup>(٢١٩)</sup> على مئة رأس : خمسين جارية وخمسين غلاماً وعشرين ألف مُدني للأهراء في كل سنة .

ثم دخل أرض ( زريكيران ) فصالحه ملكها على خمسين رأساً وعشرة آلاف مُدني للأهراء في كل سنة .

ثم أتى أرض ( حمزين ) ، فأبى حمزين أن يصالحه ، فحصرهم وافتتح حصنهم بعد أن حصرهم شهراً ، فأحرق وأخرب ، وكان صلحه إياه على خمسمائة رأس يؤدونها دفعة واحدة ثم لا يكون عليه سبيل ، وعلى أن يحمل ثلاثين ألف مُدني إلى أهراء الباب في كل سنة .

ثم أتى مروان ( سغندان )<sup>(٢٢٠)</sup> ، فافتحها صلحاً على مئة رأس يعطيها

(٢١٥) الصقابة : ( ج ) صقاب ، جبل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون بلاد الخزَر في أعالي جبال الروم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٧٢/٥ - ٣٧٣ ) .

(٢١٦) فتوح البلدان ( ٢٩٢ ) .

(٢١٧) السري : مملكة واسعة بين ( اللان ) و باب الأبواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٨٠/٥ ) .

(٢١٨) المدي : مكيال في الشام ومصر يسع تسعة عشر صاعاً .

(٢١٩) ترومان : لم أجد لها ذكراً في معجم البلدان ، والظاهر أنها في منطقة اللان .

(٢٢٠) سغندان : وردت كذلك في ابن الأثير ( ١٧٨/٥ ) ، ووردت : سدان في فتوح البلدان ( ٢٩٣ ) ، والأول ( أصح ) .

ليأتها صاحبها دفعة واحدة ، ثم لا يكون عليه سبيل فيما يُسْتَقْبَل ، وعلى أن يحمل في كل سنة إلى أهراء الباب خمسة آلاف مُدِّي .

ووظف مروان على أهل ( طَبَر سَرَانشاه ) ( ٣٢١ ) عشرة آلاف مُدِّي في كل سنة تحمل إلى أهراء الباب .

ولم يوظف على ( فيلا نَشا ) شيئاً ، وذلك لحسن غنائه وجميل بلائه وإحماده أمره

ثم نزل مروان على قلعة ( اللَکَز ) وقد امتنع صاحبها من أداء شيء من الوظيفة وكان صاحبها قد خرج يريد صاحب الخَزَر فقتله راع بسهم رماه به وهو لا يعرفه ، فصالح أهل اللَکَز على عشرين ألف مُدِّي تحمل إلى أهراء مدينة الباب .

وسار مروان إلى قلعة ( شَرَوَان ) وهي تدعى ( خِرْس ) ( ٣٢٢ ) وهي على البحر ، فأذعن أهلها بالطاعة والانحدار إلى السهل ، وألزمهم عشرة آلاف مُدِّي في السنة .

وجعل مروان على صاحب ( شَرَوَان ) أن يكون في المقدمة إذا بدأ المسلمون بغزو الخَزَر وفي السّاقَة إذا رجعوا .

وجعل على فيلا نَشا أن يغزو مع المسلمين فقط ، وعلى طَبَر سَرَانشاه أن يكون في السّاقَة إذا بدأوا وفي المقدمة إذا انصرفوا .

وسار مروان إلى ( الدُّودَانِيَّة ) ( ٣٢٣ ) ، فأوقع بهم ، ثم عاد أدراجه إلى مقرّه ( ٣٢٤ )

( ٣٢١ ) ملك أنوشران ملوكاً رتبهم ، وجعل لكل أمرٍ منهم شاهية ناحية من النواحي ، فنها خاقان الجبل ، وهو صاحب السريز ويدعى وهرارزانشاه ، ومنهم ملك فيلان وهو فيلان شاه ، ومنهم طبرسرانشاه ، وملك اللَکَز ويدعى جرشانشاه ، وملك ليران ويدعى ليران شاه ، وملك شروان ويدعى شروانشاه ، انظر التفاصيل في فتوح البلدان ( ٢٧٦-٢٧٧ ) ، وهم ملوك الطوائف في إرمينية الذين كانوا يحكمون باسم الفرس في حينه .

( ٣٢٢ ) خرس : وردت في فتوح البلدان ( خرش ) خطأ من الناشر والمحقق ، وهي حصن بarmiنية على البحر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٤١٩/٣ ) .

( ٣٢٣ ) قوم يدعون أنهم عرب من نسل دودان بن أسد بن خزيمه .

( ٣٢٤ ) انظر التفاصيل في فتوح البلدان ( ٢٩٢-٢٩٤ ) وانظر ابن الأثير ( ١٧٨/٥-١٧٩ ) .

ومن الواضح أن مروان أحرز انتصارات باهرة في غزوته هذه السنة ، فافتتح عهده في إرمينية افتتاحاً موفقاً : استعاد المناطق التي انتقضت ، وقاتل الذين أصروا على انتقاضهم وصالح الذين أحبوا الطاعة والسلام ، وأدب الذين اعتادوا إشاعة الفوضى وكافأ الذين اعتادوا النظام ، وطبق عملياً مبدأ العقاب والمكافأة بالنسبة للمسيئين والمحسنين ، وقسم الواجبات القتالية على القادة المحليين والواجبات الإدارية على الإداريين .

ولم يكن لمروان سنتي خمس عشرة ومئة الهجرية ( ٧٣٣ م ) وست عشرة ومئة الهجرية ( ٧٣٤ م ) أي نشاط عسكري في إرمينية ، مما يدل على نجاح تدابير العسكرية والإدارية فيها .

ولكنه بعث بعثتين سنة سبع عشرة ومئة الهجرية ( ٧٣٥ م ) إلى جبل (القَبَق) وهو جبل القفقاس الكبرى ، فافتتح أحدُ البعثين ثلاثة حصون من ( اللان ) ، ونزل البعث الآخر على تومانشاه ، فنزل تومانشاه على حكم مروان ، فبعث به مروان إلى هشام بن عبد الملك في ( دِمَشق ) ، فردّه هشام إلى مروان ، فأعاده مروان على مملكته (٣٢٥) .

ومن الواضح أن الاضطرابات التي حدثت في إرمينية كانت اضطرابات طفيفة ، لذلك بعث مَنْ يعالجها ولم يتولَّ معالجتها بنفسه ، كما أن عفوه عن تومانشاه وإعادته إلى مملكته دليل على أن اضطراباته لم تكن خطيرة فتمَّ تسويتها بسلام . وفي سنة ثماني عشرة الهجرية ( ٧٣٦ م ) غزا مروان أرض (وَرْتَنِيس) (٣٢٦) فدخلها من ثلاثة أبواب ، فهرب وُرتَنِيس إلى الخَزَر وترك القلعة ، فنصب مروان عليها المجانيق . وقُتِل ورتنيس في طريقه إلى الخَزَر ، فبعث مَنْ قُتل برأسه إلى مروان ، فنصبه لأهل حصنه ، فترلوا على حكم مروان ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية (٣٢٧) .

(٣٢٥) تاريخ خليفة بن خياط (٣٦٢/٢) وابن الأثير (١٨٦/٥) .

(٣٢٦) ورتنيس : حصن في بلاد سيات ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١٣/٨) .

(٣٢٧) تاريخ خليفة بن خياط (٣٦٣/٢) وابن الأثير (١٩٨/٥) ، وورد فيه : ورنيس .



وفي سنة تسع عشرة الهجرية ( ٧٣٧ م ) غزا مروان في إرمينية ، فدخل من باب اللان ، واخترق هذه الولاية حتى خرج منها إلى بلاد الخَزَر ، فمرّ بمدينة ( بَلَكَنْجَر ) و ( سَمَنْدَر ) وانتهى إلى ( البيضاء ) عاصمة خاقان ، فهرب خاقان منه (٣٢٨) .

وكانت هذه الغزوة من غزوات مروان الشاملة التي قصد بها إبراز قوّة الدولة الإسلامية ومقدرتها على قمع كلّ انتفاض بكفاية وسرعة .  
ويبدو أن هذه الغزوة أثمرت في توطيد الأمن والاستقرار في ربوع إرمينية ، فقد كانت سنة عشرين ومئة الهجرية ( ٧٣٨ م ) سنة سلام واستقرار في أرجاء إرمينية بالنسبة للمسلمين وبالنسبة للسكان الأصليين ، إذ لم يَغْزُ مروان هذه السنة ، فاستعادت قوّات المسلمين أنفاسها ، وأكملت استحضاراتها لجهاد جديد .  
وفي سنة إحدى وعشرين ومئة الهجرية ( ٧٣٨ م ) ، غزا مروان في إرمينية ، فأتى قلعة بيت السّرير فقتل وسبى .

ثمّ أتى قلعة ثانية ، فقتل وسبى أيضاً .

ودخل مروان ( غَوْمَسْكَ ) (٣٢٩) وهو حصن فيه بيت الملك يكون فيه ملك السّرير ، فخرج الملك هارباً حتى أتى حصناً يقال له ( خُرج ) (٣٣٠) فيه سرير الذهب ، فأقام مروان عليه شتوةً وصيفةً ، فصالحه على ألف رأسٍ في كل سنة ومئة ألفٍ مُدِّي .

وسار مروان ، فدخل أرض ( تُوْمان ) ، فصالحه تومان ملكها .

وسار مروان ، فدخل أرض ( زَرْوَبُكْزَان ) (٣٣١) فصالحه ملكها .

---

(٣٢٨) تاريخ خليفة بن خياط (٣٦٤/٢) وابن الأثير (٢١٥/٥) وانظر النجوم الزاهرة (٢٨٢/١) (٣٢٩) ورد كذلك في تاريخ ابن خياط (٣٦٧/٢)، أما في ابن الأثير (٢٤٠/٥) فقد وردت : غوميك .

(٣٣٠) ورد كذلك في تاريخ ابن خياط (٣٦٧/٢) ، أما في ابن الأثير (٢٤٠/٥) ، فقد وردت : خيزج .

(٣٣١) وردت كذلك في ابن خياط (٣٦٧/٢)، أما في تاريخ ابن الأثير (٢٤٥/٥) ، فقد وردت : أزرو بطران .

وسار حتى أتى ( حمزين ) ( ٣٢٢ ) فأخرب بلاده ، وحصر حصناً له شهراً فأخرب بلاد حمزين ، ثم سأل حمزين الصلح فصالحه .  
 وأتى مروان أرض ( مسدار ) ( ٣٢٣ ) فافتحها على صلح ، ثم نزل على ( كيران ) ( ٣٢٤ ) ، فصالحه طبرسرانشاه وفيلان شاه .  
 وكلّ هذه الولايات على شاطئ البحر من إرمينية إلى ( طبرستان ) ( ٣٢٥ ) .  
 ومن الواضح أنّ هذه الغزوة كانت لغرض فرض سيطرة الدولة على الذين انتقضوا وإظهار قوتها للذين خالفوا وللذين يتردّون في إعلان مخالفتهم ، والقوة هي السبيل الوحيد لقمع الفوضى وفرض النظام .  
 وقد تهيأ لمروان في هذه السنة من الفتوحات أمر عظيم ، ووقع في قلوب الخزر والترك منه رعب عظيم ( ٣٢٦ ) .

وقد وطّد أركان الأمن والاستقرار في إرمينية، وأصبح الذين كان دأبهم، الانتقاض على الدولة والشغب عليها وقطع الجزية عنها أو المماطلة في أدائها يخافون مروان ويهابونه ويطيعونه وينفذون أوامره ، كما أصبح للدولة هيبة في نفوس السكّان لذلك نعمت إرمينية بالسّلام والاستقرار ، وانصرف مروان إلى التعمير ، حتى عاد أدراجه من إرمينية إلى دمشق على رأس جيش ضخم سنة سبع وعشرين ومئة الهجرية ( ٧٤٤ م ) مطالباً بالخلافة ، فتولى الخلافة بعد يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فأنهى برحيله عن إرمينية ما نعيمّت به خلال ست سنوات من نعمة السّلام والاستقرار والتعمير ، وهي سنوات لم تنعم إرمينية بمثلها قبل مروان ولا بعده ،

( ٣٢٢ ) وردت كذلك في ابن الأثير ( ٢٤٠/٥ ) ، أما في تاريخ ابن خياط ( ٣٦٧/٢ ) ، فقد وردت : خمرى .

( ٣٢٣ ) وردت كذلك في تاريخ ابن خياط ( ٣٦٧/٢ ) ، أما في تاريخ ابن الأثير ( ٢٤٠/٥ ) ، فوردت : مسدار .

( ٣٢٤ ) كيران : مدينة بأرمينية بالقرب من يلقان ، انظر معجم البلدان ( ٣٠٥/٧ ) .

( ٣٢٥ ) تاريخ خليفة بن خياط ( ٣٦٧/٢ ) وابن الأثير ( ٢٤٠/٥ ) .

( ٣٢٦ ) العبر ( ١٥٣/١ ) .

فكانت ولايته خيراً على إرمينية: « فتح خلالها بلاداً كثيرة وحصوناً متعدّدة ، لأنه كان لا يفارق الغزو ، وأحرز انتصارات باهرة على الترك والخزر والالان وغيرهم وكان شجاعاً بطلاً مقداماً حازم الرأي » (٣٣٧) .

وبقدر نجاحه قائداً في المجال العسكري ، كان إخفاقه خليفة في المجال السياسي ، فخسرتة العسكرية ولم تربحه السياسة ، فقد كان مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين .

ولم يستطع خلفه على إرمينية أن يملأ الفراغ الذي تركه مروان ، وشغل أيامه بالاقتيال الذي أشاعه خصوم الدولة من العرب لأسباب قبلية ومذهبية وطائفية ، فأثاروا موجة عارمة من الفوضى والاضطرابات والفتن ، ولم يبق له وقت ولا قوات للقتال لإيقاف موجة الانتقاض الذي أظهره أعداء المسلمين ، وبذلك أصبح الاقتال هو القاعدة والقتال هو الاستثناء ، وأصبحت سيوف العرب المجاهدين على العرب لا على أعدائهم .

وتوقّف الفتح واستعادة الفتح بسقوط الأمويين ، وكان قصارى ما يطمح إليه العباسيون هو المحافظة على البلاد المفتوحة ، أما إضافة فتح جديد فقد ذهب إلى غير رجعة .

### عبرة استعادة الفتح

بمقارنة سير الحوادث في فتح إرمينية بسير الحوادث في استعادة فتحها تبرز حقائق واضحة جلية ، ما أحرانا أن نعتبر بها في حاضرنا ومستقبلنا ، لأنّ التاريخ ليس قصّة للتسلية وتبديد الوقت سدى ، بل للعبرة للدارسين والباحثين والسامعين ، لا بدّ من الاعتبار بها من أجل حاضر أفضل ومستقبل أحسن ، وفائدة التاريخ تكمن في اتخاذ حوادثه عبرة للأمة التي سجل أحداثها بخاصة ولغيرها من الأمم بعامة .

وكان المسلمون الأوّلون يحرصون على تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف واللغة والتاريخ وعلى تعلّمها ، لتقويم عقولهم وقلوبهم وألسنتهم لبناء الفرد المسلم إنساناً ، ولبناء المجتمع الإسلامي أمةً ، حتى يتربّي الفرد مثالياً والأمة لا تُقهر أبداً وكان الفرد يعتبر بالتاريخ ابتأسى بالمُحسِنين فيسجّل بأعماله صفحات من نور في تاريخ أُمته، وترفّع عن أخطاء المُسيئين حتى لا يَسوّد صفحات أُمته ويلحق بها العار .

وكانت الأمة تعتبر بالتاريخ ، للتأسي بالأمم المُحسنة ، فتسجّل بأعمالها صفحات من نور في تاريخها تنافس بها الأمم الأخرى ، وترفع عن أخطاء الأمم المسيئة ، حتى لا تسوّد تاريخها وتلطّخه بالعار .

لقد فتح المسلمون إرمنية لأول مرة بسهولة ، ولكنهم استعادوا فتحها بصعوبة . وكان الفتح بسرعة ، وكانت الاستعادة ببطء .

وكان الفاتحون قليلين عدّداً ، فأصبحوا كثيرين عدّداً وعدّداً في أيام استعادة الفتح .

وكان الفاتحون قليلي الخبرة والتجربة ، فأصبحوا خبراء بالبلاد وسكّانها وأصحاب تجربة عملية طويلة في أيام استعادة الفتح .

وكانت خسائر الفاتحين بالأموال والأرواح قليلة ، فأصبحت خسائر المُستعبدّين بالأموال والأرواح كثيرة .

فكيف أصبحت النتائج بعكس المقدّمات ؟ !

إنّ المفروض في حالة ازدياد تعدّاد الفاتحين وعددهم ، وتكاثر خبرتهم وتضاعف تجربتهم في البلاد وأهلها ، أن يكون استعادة الفتح أسهل من الفتح لا أصعب منه وأسرع في استعادة الفتح من الفتح لا أبطأ منه ، وأن تكون الخسائر بالأرواح والأموال أقلّ في استعادة الفتح لا أكثر منها في الفتح ، وبخاصة أنّ أهل البلاد لم تتطوّر قوتهم الضاربة بعد الفتح ولا في أيام استعادة

الفتح ، فما تغيّر أهل البلاد ، ولكنّ الفاتحين في أيام استعادة الفتح غيّرُوا ما بأنفسهم ، فترعزت معنوياتهم التي كانت الحافز الأول للفتح ، وضعفوا واستكانوا ولم يُفْلِحُوا أبداً .

لقد كان المسلمون أيام الفتح محرّرين كما رآهم أهل البلاد ، فأصبحوا أيام استعادة الفتح مستعبيدين في نظر أهل البلاد ، لأنّ المسلمين كانوا يطبقون الحرب العادلة نصّاً وروحاً في أيام الفتح ، تلك الحرب التي تنصّ عليها تعاليم القتال في الاسلام ، فكانوا محرّرين للشعوب حقّاً ، هدفهم إعلاء كلمة الله ونشر الفضيلة والتسامح والإخاء والمُثل العليا بين الناس ، فلا بد أن يدخل الناس في دين الله أفواجاً ، وأن يُقبلوا على تعلّم العربية الفصحى لأنها لغة الكتاب العزيز ولغة الإسلام ولغة الفاتحين ، رهبان الليل وفرسان النهار الذين كانوا يمثلون تعاليم الإسلامي في تطبيقها العملي بشراً سوياً يمشون على الأرض ويأكلون الطعام كسائر البشر ، فكان الفتح فتح مبادئ لا فتح سيوف ، لذلك كان فتحاً سهلاً سريعاً مُبَسِّراً .

وقال قائل أهل البلاد المفتوحة من إرمينية : « والله لأنتم أحبّ إليّ ملكة من آل كسرى ، والله لا يقوم لكم شيء ما وفيتم ووفّى ملككم » (٣٣٨) ، وكان هذا القائل هو شهر براز ملك مدينة ( باب الأبواب ) الذي تولّى الملك على عهد كسرى قبل أن يفتح المسلمون بلاده ، وتولّى على عهد المسلمين الفاتحين ، فجرّب حُكم كسرى ، ثم جرّب حكم المسلمين ، فقال ما قاله نتيجةً لتجربته لا نتيجة لعاطفته .

ولما غزا عبدالرحمن ذو النور بن ربيعة الباهليّ بلاد الخَزَر لأول مرة سنة اثنتين وعشرين الهجرية ( ٦٤٢ م ) على عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، والخَزَر من أشدّ الأمم قوّةً وشجاعة وإقداماً ، قال الخزر : ما اجتراً علينا هذا

الرَّجُل إِلَّا وَمعه الملائكة تمنعه من الموت (٣٣٩) ! فتحصن منه الخَزَرَوهر بوا ، فرجع بالغنم والظفر بدون خسائر في الأرواح (٣٤٠) .

ولكنّ تغير كثير من الذين تحملوا أعباء استعادة الفتح ، فقد كان جند الكوفة حينذاك ينهض بمهمة الفتح واستعادة الفتح في الجبهة الشرقية للدولة الإسلامية ومنها إرمينية ؛ فتبدّل أهل الكوفة لاستعمال من ارتدّ في جيوش المسلمين استصلاحاً لهم ، فلم يصلحهم ذلك وزادهم فساداً أن سادهم من طلب الدنيا (٣٤١) .

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية ( ٦٥٢ م ) قاد عبدالرحمن ذو النور بن ربيعة الباهلي جيشاً إلى ( بَلَنْجَر ) في بلاد الخَزَر من إرمينية ، أي إلى المنطقة التي هاجمها قبل عشر سنوات فقط ، فكان الجيش الذي قاده في الغزوة الأولى مؤلفاً من عناصر وصفهم عبدالرحمن بقوله : « أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلوا في هذا الأمر - يريد هذا الدين - نبية ، كانوا أصحاب حياء وتكرّم في الجاهلية ، فازداد حياؤهم وتكرّمهم ، فلا يزال هذا الأمر لهم ، ولا يزال النصر معهم حتى يغيّرهم من يغلبهم ، وحتى يُلَفَّتُوا عن حالهم بمن غيرهم » ، فغزا في هذه الغزوة الأولى ( بَلَنْجَر ) وبلغت خيله ( البيضاء ) على رأس مائتي فرسخ من ( بَلَنْجَر ) بدون خسائر في الأرواح أما في غزوته الثانية التي كانت سنة اثنتين وثلاثين الهجرية ، بعد تغير في نفوس الفاتحين أو تغير قسم من نفوس الفاتحين ، فقد غزا ( بَلَنْجَر ) فاستشهد عبدالرحمن وانهزم المسلمون وتفرّقوا (٣٤٢) .

وقد انتبه عثمان بن عفان إلى تغير نفوس قسم من الفاتحين ، فكتب إلى عبدالرحمن قبل أن يخوض معركة ( بَلَنْجَر ) الثانية يقول : « إنّ الرعيّة قد أبطّر كثير منهم البطنة ، فقصر ، ولا تقتحم بالمسلمين ، فإنّي خاش أن

(٣٣٩) الطبري (١٥٨/٤) وابن الأثير (٣٠/٢) (٣٤٠) الطبري (١٥٨/٤) .

(٣٤١) الطبري (١٥٨/٤) . (٣٤٢) الطبري (١٥٨/٤) .

يُبْتَكَوْا» ، فلم يزجر ذلك عبدالرحمن عن غايته (٢٤٣) ، فقتل وقتل كثير من رجائه ،  
وانهزم المسلمون هزيمة نكراء ! ! .

إن أكثر الذين خاضوا معارك الفتح في إرمينية وفي غيرها من البلاد من أصحاب  
( القلوب ) ، فأصبح أكثر الذين خاضوا معارك استعادة الفتح في إرمينية وفي غيرها  
من البلاد المفتوحة ، من أصحاب ( الجيوب ) .

وبتعبير آخر ، إن أكثر جنود الفتح وقادته ، كانوا من ذوي العقيدة الراسخة  
التي تجعلهم يتحلون بمزية : ( إرادة القتال ) لتحقيق هدفها الواضح ، وهو : إنما  
هي إحدى الحُسْنَيْنِ : النصر أو الشهادة .

وأصحاب العقيدة الراسخة ، يعملون لعقيدتهم التي هي المصلحة العليا للمسلمين  
كافة في العزة والكرامة ، والدفاع عن الأرض والعرض ، ونشر الفضيلة والأخوة  
والمُثُل العليا بين الناس ، والترفع عن الظلم والاستغلال والاستثمار والمصالح  
الشخصية للفرد .

أما أكثر جنود استعادة الفتح وقادته ، فقد تخلّوا بدرجات متفاوتة عن  
عقيدتهم الراسخة التي قادت سافهم إلى النصر ، وخسروا مزية : ( إرادة القتال ) ،  
فأصبحوا يعملون لأنفسهم لا لعقيدتهم أو لمصلحة المسلمين العليا ، فتخلّى عنهم  
النصر ، واستهان بهم عدوّهم .

والفرق بين أصحاب العقيدة الراسخة وأصحاب العقيدة المهزوزة ، أن كل  
فرد من الأولين يتمنى أن يموت قبل صاحبه ، وكل فرد من الآخرين يتمنى  
أن يموت صاحبه قبله !

وإيس معنى ذلك ، أن جميع الذين شهدوا الفتح صالحن خيرون ، وأن  
جميع الذين شهدوا استعادة الفتح طالحن سيئون ، ولكن كان الغالبية العظمى  
من الذين شهدوا الفتح من ذوي العقيدة الراسخة والأقلية النادرة من ذوي العقيدة  
المهزوزة ، بينما انتشر الانحراف بين الذين شهدوا استعادة الفتح ، وثبت قسم على

عقيدتهم الراسخة فلم يُبدّلوا أو يُغيّروا ولم يتبدّلوا أو يتغيّروا .  
فقد قرأنا أن قائداً من قادة الفتح قدّم له ياقوته حمراء هي أغلى من مدينة  
( باب الأبواب ) ، فردّها إلى صاحبها غير مكترث بها ولا بقيمتها (٣٤٤) ، لأنّ  
أمانته أغلى عليه ، فأثر الأمانة على الخيانة ، وما عند الله على ما عند الناس .  
وقرأنا أن قائداً من قادة استعادة الفتح ، أصفى أموال المغلوبين وذرياتهم ،  
فأخذ منها ما أعجبه ، وأمر بتقسيم الباقي على رجاله (٣٤٥) ، لأن أمانته  
هانت عليه ، فأثر المغمّن على الأمانة ، وما عند الناس على ما عند الله .  
ولكن لم تخل أجنادُ استعادة الفتح وقادته من عناصر صالحة خيرة تعتبر  
نماذج عالية في الصّلاح والخير .

فقد استشهد الجراح بن عبد الله الحكّمي في إرمينية سنة اثنتي عشرة ومئة  
الهجرية مُقبلاً غير مُدبّر ، صابراً محتسباً (٣٤٦)  
واشترى أحد جنود استعادة الفتح جُونة (٣٤٧) بدرهمين ممّن يتولى بيع  
ما تبقيّ من الغنائم في مزاد علنيّ ، فلما عاد بها إلى خيمته في المعسكر فتحها ،  
فوجد فيها سبائك من ذهب ، فرجع وهو واضع يده على لحبته كأنه رمى وردّ  
الجُونة وأخذ الدرهمين ، فلما ذاع الخبر طُلب فلم يوجد (٣٤٨) ! .  
وبعث قائد من قادة استعادة الفتح أحد رجاله سراً إلى مدينة يحاصرها العدو  
ويضيّق عليها الخناق ، وهي غاصّة بالمسلمين وذريّاتهم ، ليعرفهم وصول المد  
من المسلمين إليهم قريباً ويأمرهم بالصّبر واخترق الرجل مواضع العدو الحصينة  
متحدّياً الأهوال والأخطار ، فألقى القبض عليه ، فسأله عن حاله ، فأخبرهم

(٣٤٤) الطبري (١٥٩/٥-١٦٠) . (٣٤٥) الطبري (١٠/٧) .

(٣٤٦) ابن الأثير (١٥٩/٥) .

(٣٤٧) الجونة : سلية مستديرة منشأة بالجلد يحفظ فيها المطار الطيب ، وفي الحديث في  
صفته صلى الله عليه وسلم : « فوجدت ليد برداً وريحاً كأنما أخرجها من جونة  
عطار » ج : جون . (٣٤٨) الطبري (١٠/٧) .



وصدقهم ، فقالوا له : إن فعلتَ ما نأمرُك به أحسنًا إليك وأطلقناك : تقول لأهل البلد المحاصرين ، إنكم ليس لكم مددٌ ولا منٌ يكشف ما بكم ، وتأمرهم بتسليم البلد إلينا . . . . فأجابهم إلى ذلك .

ولما قاربَ المدينة وقف بحيث يسمع أهلها كلامه ، فقال لهم : « أنعرفوني ؟ قالوا : نعم ، أنت فلان . قال : « فإن جيش المسلمين قد وصل إلى مكان كذا في عساكر ، وقائد الجيش يأمرُكم بحفظ البلد والصبر ، وفي هذين اليومين يصل إليكم » ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير والتنهيل .

وقتل العدو ذلك الرجل ، ورحلوا عن المدينة المحاصرة ، ونجا أهلها من القتل والأسر والسبى (٣٤٩) ! .

وأوغل الخزر في بلاد المسلمين . وقتلوا قائدهم في إرمينية وأبادوا رجاله وأسروا قسمًا منهم وسبوا ، فعين الخليفة قائدًا جديدًا ، وأرسله إلى إرمينية على دواب البريد ليتدارك الأمور هناك ويستنقذ المسلمين ويستعيد الفتح .

وسار القائد الجديد مسرعًا إلى إرمينية ، فكان لا يمر بمدينة إلا ويستنهض أهلها ، فيجيبه من يريد الجهاد (٣٥٠)

ولقد وضعتُ (خطأً) تحت تعبير : من يريد الجهاد ، فالموقف الراهن الذي هو عبارة عن اكتساح بلاد المسلمين ، فأوغل العدو في البلاد حتى قاربوا مدينة (الموصل) ، وعظم الخطب على المسلمين (٣٥١) .

في مثل هذا الموقف يصبح الجهاد فرضاً عينياً على حدّ تعبير الفقهاء ، يشمل كلّ قادر على الجهاد بماله ونفسه من المسلمين : القادر على الجهاد بماله يجاهد بماله ، والقادر على الجهاد بنفسه يجاهد بنفسه ، والقادر على الجهاد بماله ونفسه يجاهد بهما معاً ، لا فرق بين غني وفقير ، أو أمير وأجير ، أو كبير وصغير وليس لمسلم في مثل هذا الموقف أن يريد أو لا يريد ، لأنّ الجهاد ليس من المسائل

(٣٥٠) ابن الأثير (١٦٠/٥) .

(٣٤٩) ابن الأثير (١٦٠/٥) .

(٣٥١) ابن الأثير (١٥٩/٥) .

ولزاجية ، بل هو فرض من الفروض المقدسة الذي يلتزم بها المسلم الحق ، إلا كان من الخراف : يعتزله المسلمون في الدنيا ويقابلونه بالاحتقار ، وينال عقاب الذين رضوا بأن يكونوا مع الخوائف في الآخرة .

لقد كان جنود الفتح في الأغلب من أمثال صاحب الجونة في أمانتهم المثالية ، وكان في جنود استعادة الفتح من أمثال صاحب الجونة ومن اللاهثين وراء الثراء . وكان معظم جنود الفتح من أمثال الفدائي الذي ضحى نفسه لإنقاذ المسلمين المحاصرين ، وكان في جنود استعادة الفتح من أمثال ذلك الفدائي قليل .

وكان المسلمون كلهم بدون استثناء في أيام الفتح مجاهدين ، فأصبح قسم من جنود استعادة الفتح مجاهدين وقسم رضوا بأن يكونوا مع الخوائف . وما تغيرت العقيدة ، ولكن المسلمين تغيروا .

وكان تغيير المسلمين ما بأنفسهم من عقيدة راسخة طفيفاً ، ثم ازداد التغيير شيئاً فشيئاً ، كازاوية تبدأ صغيرة ثم يبتعد الضلعان قليلاً قليلاً ، فتزداد المسافة بين الضامعين بالتدريج ، حتى أصبح المسلمون بمرور الزمن بعيدين عن روح الإسلام الصحيح .

لقد كان الفتح بالإسلام في دعوته للجهاد بالأموال والانفس سريعاً سهلاً حاسماً قليل التكاليف ، ثم أصبح استعادة الفتح بالمجاهدين الصادقين وغيرهم بطيئاً صعباً متردداً كثير التكاليف ، لأن المجاهدين الصادقين قلّوا عدداً بالنسبة لعددهم أيام الفتح وكثر الجنود النظاميون الذين يقاتلون لأنهم يتقاضون مرتباتهم الشهرية من الدولة ، وشتان بين المجاهدين الصادقين الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله وبين الجنود النظاميين الذين يقاتلون من أجل قبض المرتبات . وبالرغم من ازدياد عدد الجيوش وعددها وتضاعف تجاربها القتالية في أيام استعادة الفتح ، فإنها لم تحقق ما حققه المسلمون في أيام الفتح اندفاعاً وتضحيتة ونصراً ، وهذا دأبل عملي من سير حوادث الفتح وسير حوادث استعادة الفتح ، يدلّ بشكل قاطع على كذب ادعاء أعداء العرب والمسلمين من الأجانب وغير

الأجانب : أنّ الفتح كان لضعف الحكومات القائمة في أيام الفتح و « اعدم وجود جيش منظم قويّ يستطيع صدّ الفتح الإسلامي ويحمي البلاد المقترحة ، ولأنّ الحرب السّاسانية البيزنطيّة قد استنزفت كلّ قوى الدّولتين ، وأنّ مصاواة الفاتحين اقتصر على السكّان المحليّين أو القوّات المحليّة بطاقاتهم المحدودة » ، فقد قاتل الفاتحون في معارك حاسمة جيوش الفُرس والروم وانتصروا عليها ، ولم يقاتل المسلمون في أيام استعادة الفتح جيوش الفرس والروم في معارك حاسمة ، لأنّ دولة الفرس انقرضت والروم كانوا في شغل شاغل في الدفاع عن وطنهم الأم ومحاولة استعادة جزء من البلاد التي فتحها المسلمون . كما أنّ معارك المسلمين في أيام استعادة الفتح اقتصرّت على السكّان المحليين والقوّات المحليّة بطاقاتها المحدودة ومع ذلك خسر المسلمون معارك كثيرة ولم يخسروا معركة واحدة من معارك الفتح .

إنّ وقائع التاريخ تكذّب ادعاء أعداء العرب والمسلمين من المؤرّخين الأجانب وغير الأجانب في أنّ الفتح الإسلامي كان للأسباب التي يردّدونها والتي ذكرنا

مجمّلها ، وهدف هؤلاء هو ( التّهوين ) من شأن الإسلام في إحراز النصر ، ومن أثره في تحقيق الفتح ، فقد حقّد هؤلاء على الإسلام لأنّه أكل قلوبهم وفتح بلادهم وانتشر في أرجاء العالم وأصبح القوّة التي تخيفهم وتقض مضاجعهم وتهدّد

حاضرهم ومستقبلهم كما هدّدت ماضيهم .

ولكنّ الواقع شيء ، واتباع الهوى شيء آخر .

ولو كان انتصار المسلمين على أعدائهم في أيام الفتح ، لضعف أعدائهم دون سائر الأسباب الأخرى وعلى رأسها انتصار الفاتحين بالإسلام الذي وحد

صفوفهم وأهدافهم ، وأشاع فيهم الانسجام الفكريّ الذي يّدي إلى التعاون فيما بينهم جماعات وأفراداً ، وأرسى دعائم مجتمع الأخوة : ( إنما المؤمنون إخوة ) (٣٥٢)

« ولا يؤمن أحداكم حتى يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه » (٣٥٣) ، فجعل هذا المجتمع

(٣٥٢) الآية الكريمة من سورة الحجرات ( ٤٩ : ١٠ ) .

(٣٥٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والامام أحمد في مسنده عن أنس ، انظر : مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي ( ٣٦٦/٢ ) .

كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً ، ورفع مغنوياتهم . . . لكان انتصار المسلمين بعد ازدياد عدّدهم وتضاعف خبرتهم في القتال ومعرفتهم بطبيعة البلاد المفتوحة وصفات سكّانها الأصليين ، مع بقاء عدوّهم على تفرّقهم وضعفهم وانهايار مغنوياتهم ، أسهل وأسرع وأثبت في أيام استعادة الفتح ، ولكنّ الواقع التاريخي كان عكس ذلك تماماً ، مما يدل على أنّ انتصار المسلمين في أيام الفتح كان انتصار عقيدة راسخة ، وتعثر انتصارهم في أيام استعادة الفتح كان لأنّهم غيّروا ما بأنفسهم فكان منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، فتعثر انتصارهم ولولا بقيّة من بقايا الصالحين فيهم لما انتصروا أبداً .

وكان من بوادر انحراف المسلمين في أيام استعادة الفتح عما كانوا عليه في أيام الفتح ، ظهور العصبيّة القبليّة ، والتفرقة المذهبية والطائفية ، والتكالب على المادة أموالاً ومساكن وطعاماً وشرباً وجنساً ، والحرص على المناصب الادارية والرّتب العسكريّة ، والتهالك على حبّ الدنيا وكراهية الموت .

كان رجال الفتح يحبّ أحدهم أن يموت قبل صاحبه ( مجاهداً ) إلاّ من غضب الله عليه وهم قِلّة قليلة .

فأصبح رجال استعادة الفتح يحبّ أحدهم أن يموت صاحبه قبله ( قاعداً ) إلاّ من رحم الله .

وما استطاع رجال استعادة الفتح أن ينتصروا إلاّ بالرجال الذين تمسّكوا بعقيدتهم الرّاسخة جهاداً في سبيل الله ، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه . ولكن بمرور الزّمن تناقص عدد المجاهدين الصادقين ، فتبدّل حال المسلمين من حال إلى حال .

والعرب مادّة الإسلام كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهم قادة الفتح وجنوده وعلى أكتافهم وبجهادهم وجهودهم تحقّق النّصر فتحاً واستعادة

الفتح ، وهم الذين غيّرُوا ما بأنفسهم يوماً بعد يوم ، حتى ساءت الحال وتردّى المآل .

لقد كان العرب قبل الإسلام مستعبدين للفرس في العراق والروم في أرض الشام ، وحتى للأحباش في اليمن .

وجاء الإسلام ، فاستطاع الرسول القائد عليه أفضل الصلوة والسلام أن يوحد شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام ، ولا يعرف التاريخ أحداً وحدها قبله ولا بعده حتى هذا اليوم .

وكان تعداد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خلفهم من بعده مئة وخمسة وعشرين ألفاً في أكثر ما ذكره المؤرخون .

وارتد قسم من العرب بعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، فاستطاع خليفته على المسلمين أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يستعيد بهم الوحدة إلى شبه الجزيرة العربية ، واستطاع بهم أن يخوض معركة ( اليرموك ) الحاسمة التي فتحت للمسلمين أبواب أرض الشام ، كما استطاع أن يخرض بهم معارك ثانوية مهّدت للمسلمين فتح العراق .

وتولّى عمر بن الخطّاب الخلافة ، فأكمل الفتح الذي بدأه أبو بكر الصديق رضي الله عنهما ، ففتح العراق وإيران وأكثر مناطق إرمينية وأرض الشام بما فيها سورية ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين ، ومصر وإيبيا والنوبة ، وكان عهد عمر بن الخطّاب هو عهد الفتح الإسلامي الذهبيّ بدون منازع (٣٥٤) .

ومع كلّ فتوحات عمر بن الخطّاب ، فقد كان حسنة من حسنات أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

واستمرّ مدّة الفتح الإسلامي عارماً في أوائل عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، حتى نشبت الخلافات بين المسلمين ، فانقضّ أهل فارس سنة تسع وعشرين

ومئة الهجرية (٣٥٥ م) (٧٤٦ م) ، وانتصر الخَزَر والترك على المسلمين لأول مرة سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية (٧٤٩ م) ، فقتلوا قائد المسلمين عبدالرحمن بن ربيعة الباهليّ في (بَلَسَنْجَر) وكتبوا المسلمين خسائر فادحة بالأرواح والأموال (٣٥٦) وانتشرت الفوضى في عقر ديار المسلمين ، حتى قتل عثمان بن عفّان في المدينة عاصمة المسلمين سنة خمس وثلاثين الهجرية (٦٠٥ م) بيد العرب لا بيد أعدائهم (٣٥٧) .

وبدأ الاقتتال بين الفاتحين بعد استشهاد عثمان بن عفّان ، وأصبحت سيفهم عليهم لا على أعدائهم ، فانتقضت البلاد المفتوحة ، وضعفت هيبة الدولة داخلياً وخارجياً ، حتى استطاع عبدالملك بن مروان جمع شمل العرب مرة أخرى سنة ثلاث وسبعين الهجرية (٦٩٢ م) وإعادة الوحدة اليهم ، فكانت هذه السنة سنة الرعدة بحق ، فانطلق الفتح من جديد وانطلق استعادة الفتح ، ولكنّ عوامل التفرقة ظلّت كائنات في الرماد لا تخبو مدة إلاّ لتظهر في مدة ثانية ، حتى توقّف الفتح نهائياً سنة مئة الهجرية (٧١٣ م) .

وكان عصر الفتح وهو القرن الأول الهجريّ هو خير القرون ، ويمكن أن نقسم هذا العصر إلى ثلاثة أقسام : عهد الفتح أولاً ، وهو من غزوة (بدر الكبرى) في السنة الثانية الهجرية (٦٢٣ م) ، وكانت هذه الغزوة من الغزوات التاريخية الحاسمة ، بدأ فيها الفتح تدريجياً حتى شمل شبه الجزيرة العربية كلّها في وحدة عربية شاملة تحت لواء الإسلام ، وانتهى هذا العهد في سنة تسع وعشرين الهجرية (٦٥٠ م) في أوائل خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه .

وعهد الاقتتال الداخليّ من سنة تسع وعشرين الهجرية حتى سنة الوحدة في أيام عبدالملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين الهجرية (٦٩٢ م) ، وفي هذا العهد

(٣٥٥) ابن الأثير (١٥١/٣) .

(٣٥٦) انظر التفاصيل في ابن الأثير (١٣١-١٣٢) .

(٣٥٧) ابن الأثير (١٥٤-١٧٩) .

توقف الفتح لأن الفاتحين شغلوا بالاقتيال فيما بينهم ولم يشغلوا بالجهاد ، فانتقضت كثير من البلاد المفتوحة وشاعت الفوضى في البلاد المفتوحة التي تنتفض ، حتى أدى المسلمون الجزية للرُّوم ولغيرهم ، فأصبح الغالب مغلوباً والقائد مقدوداً والمتنصر مهزوماً .

وعهد الفتح واستعادة الفتح من سنة الوحدة أي سنة ثلاث وسبعين الهجرية إلى انسحاب المسلمين من حصار القُسْطَنْطِينِيَّة بقيادة مَسْلَمَة بن عبد الملك<sup>(٣٥٨)</sup> وفي هذا العهد فتح المسلمون ( السُّند ) بقيادة محمد بن القاسم الثقفي ، وما وراء النهر ( تركستان الشرقية ) بقيادة قُتَيْبَة بن مُسْلِم البَاهِلِي<sup>(٣٥٩)</sup> وشمال إفريقيا : الجزائر والمغرب ، بقيادة موسى بن نصير<sup>(٣٦٠)</sup> والأندلس بقيادة طارق ابن زياد<sup>(٣٦١)</sup> وموسى بن نُصَيْر اللّخْمِي ، وبعد تلك الفتوح توقف الفتح نهائياً إلاّ ما كان من فتوح قليلة في ( صِقْلِيَّة ) بقيادة أسد بن الفرات ، والقُسْطَنْطِينِيَّة بقيادة محمد الفاتح ، وما كان من استعادة فتح القدس وفلسطين وأجزاء من أرض الشام بقيادة صلاح الدين الأيوبي .

وهذه الفتوح واستعادة الفتح التي جرت في القرن الأول الهجري يمكن اعتبارها فتوحات سَرَوِيَّة لأهميتها المصيرية، وما عداها تعتبر فتوحات تعبويّة لأنها ثانويّة وبعد سنة مئة الهجرية حتى سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية ( ٧٤٩ م ) وهي سنة سقوط الدولة الأموية في الشّام ومولد الدولة العباسية في بَغْدَاد ، حدث شيء من استعادة الفتح في خُرَاسَان سنة ثلاث ومئة الهجرية ( ٧٢١ م ) وسنة أربع ومئة الهجرية ( ٧٢٢ م ) وفي إرمينية في تلك السنة أيضاً ، وفي سنة ثلاث عشرة ومئة الهجرية ( ٧٣١ م ) وأربع عشرة ومئة الهجرية ( ٧٣٢ م ) في إرمينية

( ٣٥٨ ) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح بلاد الروم .

( ٣٥٩ ) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح المشرق الاسلامي .

( ٣٦٠ ) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي ( ٢٢١/١ - ٣٠٩ ) .

( ٣٦١ ) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح الأندلس والبحار .

وبلاد الخَزَر ، وكذلك سنة إحدى وعشرين ومئة الهجرية ( ٧٣٨ م ) ، كما حدثت عدة غزوات دفاعية في هدفها هجومية في أسلوبها خلال هذه المدة هنا وهناك ، لها طابع محلي وصفة تعبوية ، ثم توقف استعادة الفتح أيضاً حتى سقطت الدولة الأموية سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية .

وسبب توقف الفتح واستعادة الفتح في هذه المدة القاحلة من حكم الدولة الأموية ، تفرق كلمة الفاتحين واقتالهم فيما بينهم ، وإقبالهم على الدنيا وانغماسهم بالترف ، واستشراء النزعة القبلية والطائفية بينهم وغياب الوازع الديني الذي قادهم للنصر : فقد كان في العراق خلال سنتي إحدى ومئة واثنين ومئة الهجريت ثورة يزيد بن المهلب هدّت كيان الدولة ، وكان في خراسان اقتتال لسنة ست ومئة الهجرية بين مُضَر واليمن ، وتساعد نشاط دعاة بني العباس في خراسان بخاصة وفي أقطار المشرق الإسلامي بعامة ، وازدادت ثورات الطالبيين وكثرت مقاتلتهم ، وفستد اليمانية وفستد قُضاة وهم واليمن أكثر جند أهل الشام (٣٦٢) وأشدّهم بأساً .

ولم تقتصر التفرقة على العرب المسلمين بل شملت البيت المالك ، فقد قُتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك نتيجة لمؤامرة يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وبذلك بدأت المؤامرات بين رجال البيت المالك ، حتى قال قائلهم : هَلَكَ بنو مروان ! (٣٦٣) وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك بالخلافة سنة ست وعشرين ومئة الهجرية (٣٦٤) (٧٤٣ م) وهو الذي تأمر على ابن عمه وقتله ، فاضطرب أمر بني أمية وهاجت الفتنة ، فوثب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتل الوليد بعمّان ، وكان قد حسبه الوليد بها ، فخرج من الحبس وأخذ ما كان بها من الأموال وأقبل إلى دمشق (٣٦٥) ، وحالف مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

(٣٦٣) ابن الأثير (٢٨٧/٥) .

(٣٦٥) ابن الأثير (٢٩٢/٥) .

(٣٦٢) ابن الأثير (٢٨١/٥) .

(٣٦٤) العبر (١٦٢/١) .



وكان على إرمينية وأذربيجان فترك ولايته وأنفذ إلى الثغور مَنْ يَضْبِطُهَا ويَحْفَظُهَا له وسار على رأس رجاله إلى دمشق (٣٦٦) .

ومات يزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة ست وعشرين ومئة الهجرية بعد ستة أشهر وليلتين من تولية الخلافة ، (٣٦٧) فتولّاها بعده أخوه ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك (٣٦٨) الذي لم يتم له الأمر ، فكان يُسَلِّم عليه تارة بالخلافة وتارة بالإمارة وتارة لا يُسَلِّم عليه بواحدة منهما ، فمكث أربعة أشهر ، ثم سار إليه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم فخلعه (٣٦٩) .

وفي سنة سبع وعشرين ومئة الهجرية ( ٧٤٤ م ) بُويع مروان بن محمد بن مروان بدمشق بالخلافة (٣٧٠) ، وأعانه على تولي الخلافة جنوده الذين كانوا معه في الجزيرة وإرمينية فتركوا موطنهم وعادوا إلى دمشق وخاضوا في طريق العودة معارك طاحنة دارت بينهم وبين القوات الموالية لابراهيم بن الوليد بن عبد الملك (٣٧١) ، تكبد الجانبان فيها خسائر فادحة بالأرواح والأموال ، كما تعرّضت البلاد المفتوحة للفتن وتوقّف الفتح واستعادة الفتح دون مسوغ .

ولم يكد مروان يستقرّ على عرشه ، حتى خلعه سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فدارت معارك طاحنة بين العرب الفاتحين من أنصار مروان وأنصار سليمان (٣٧٢) وكان من نتيجة اختلاف الأمويين وتفرّقهم ، تفشّي الخلاف في البلاد الإسلامية ، فخالف أهل حمص (٣٧٣) ، وخالف أهل فلسطين (٣٧٤) ، واضطربت أمور خراسان (٣٧٥) ، وحارب أهل اليمامة عاملهم الذي ولاه

(٣٦٦) انظر التفاصيل في ابن الأثير (٣٠٩/٥ - ٣١٠) .

(٣٦٧) ابن الأثير (٣١٠/٥) . (٣٦٨) العبر (١٦٢/١) .

(٣٦٩) ابن الأثير (٣١١/٥) . (٣٧٠) العبر (١٦٤/١) .

(٣٧١) العبر (١٦٤/١) . (٣٧٢) ابن الأثير (٣٣١/٥ - ٣٣٤) .

(٣٧٣) ابن الأثير (٢٩٤-٢٩٢/٥) . (٣٧٤) ابن الأثير (٢٩٤-٢٩٧/٥) .

(٣٧٥) ابن الأثير (٢٩٨-٢٩٧/٥) .

الخليفة (٣٧٦) ، ووقع الاختلاف بين أهل خُراسان (٣٧٧) ، واضطربت أمور المغرب العربي (٣٧٨) وذلك سنة ست وعشرين ومئة الهجرية (٧٤٣ م) . وفي سنة سبع وعشرين ومئة الهجرية (٧٤٤ م) ، انتفض أهل حِمص (٣٧٩) وخالف أهل ( الغوطة ) وهي جزء من دمشق وولّوا عليهم أميراً وحاصروا دمشق (٣٨٠) وخالف أهل فلسطين (٣٨١) ، واضطرب أمر العراق (٣٨٢) ، وخلع أهل الأندلس أميرهم الشرعي (٣٨٣) ، واشتدّ ساعد شيعة بني العباس في خُراسان وأقطار المشرق الإسلامي (٣٨٤) ، وهكذا شملت الفتن الأقطار الإسلامية البعيدة والقرية وامتدّت إلى قلب عاصمة الدولة : دمشق ، بعد أن شملت العرب الفاتحين والمسلمين كافة وامتدّت إلى قلب الدولة الإسلامية : البيت المالك .

وأصبحت الدولة تهتزّ أركانها بعنف شديد ، فضاعت هيبة الدولة وتبدّدت هيبة الحُكم ، وشغل العرب عن الفتح واستعادة الفتح بالفتن والاضطرابات الداخلية . وهكذا أصبحت سلطة الخلافة لا تتجاوز عاصمة الدولة أو لا تتجاوز القصر الذي يسكنه الخليفة ، بينما كانت سلطة الخلافة تمتدّ من الصين شرقاً إلى قلب فرنسا غرباً ، ومن سيبيريا شمالاً إلى المحيط جنوباً ، وإنما كانت سلطة الخلافة بالتمسك بروح الإسلام الذي جعل الجهاد فريضة على القادرين على الجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وأمر بالوحدة ونهى عن الفرقة ، وحارب العصية والتعصّب ، وحارب الاتجاه نحو المادة تطاولاً في البنيان واكتنازاً للأموال والجشع والترف .

وايستبيح حاجة إلى تعداد المآسي والفتن التي حاقت بالعرب في تلك السنين التي انحرف المسلمون أو أكثرهم عن دين الله ، فغيروا ما بأنفسهم ، فقد قامت

- |                                  |                              |
|----------------------------------|------------------------------|
| (٣٧٦) ابن الأثير (٢٩٨/٥-٣٠١)     | (٢٧٧) ابن الأثير (٣٠٢/٥-٣٠٧) |
| (٢٧٨) انظر التفاصيل في (٢١١/٥-٩) | (٢٧٩) ابن الأثير (٣٢٨/٥-٣٢٩) |
| (٢٨٠) انظر ابن الأثير (٣٢٩/٥)    | (٢٨١) ابن الأثير (٣٣٠/٥-٣٣١) |
| (٢٨٢) ابن الأثير (٣٣٤/٥-٣٣٧)     | (٢٨٣) ابن الأثير (٣٣٧/٥-٣٣٩) |
| (٢٨٤) ابن الأثير (٣٣٩/٥-٣٤٠)     |                              |

الدولة العباسية سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية (٧٤٩ م) ، وقتل مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية شريداً طريداً في مدينة نائية من مدن مصر سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية ، وبانقضاء عهد بني أمية انقضى عهد الدولة العربية التي كانت تؤمن بأن العرب مادة الإسلام ، وبقيام الدولة العباسية تززع مركز العرب وارتفع شأن الفرس لأنهم أعانوا على قيامها بقيادة أبي مسلم الخراساني الذي نفذ التعليمات الصادرة إليه وبالفعل بتنفيذها ، وكان نص تلك التعليمات في خطاب موجه إلى أبي مسلم الخراساني : « إنك رجل منا . . . . . وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار ، واقتل من شككت فيه ، وإن استطعت أن لا تدع بخراسان من لا يتكلم بالعربية فافعل ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تشمه فاقتله . . . » (٣٨٥) فقتل مئات الألوف من العرب الفاتحين صبراً وغدراً في خراسان وغيرها من أقطار المشرق الإسلامي ، وساد العنصر غير العربي على العنصر العربي بالعصبية والتعصب لا بتطبيق تعاليم الإسلام .

وبدأ بقيام الدولة العباسية عصر التنافس بين العرب وغيرهم ، ودام هذا التنافس حتى توفي المعتصم العباسي سنة سبع وعشرين ومئتين الهجرية (٣٨٦) (٨٤١ م) ، وفي هذا العصر أصبحت الدولة الإسلامية الواحدة دولا ، وضعف شأن العرب وقلت قيمتهم المعنوية وتولى القيادة الإدارية والعسكرية على الأكثر غير العرب ، وقلّ المجاهدون وكثر المحترفون .

وبعد المعتصم ساد العنصر الأعجمي على العنصر العربي ، وكثرت دول الطوائف ، وسيطر غير العرب على الخلفاء ، وأصبحت الخلافة منصباً رمزياً له سمة دينية حسب والحكم لغير الخليفة ، حتى انقرضت الدولة العباسية على أيدي التاتار سنة ست وخمسين وستمائة الهجرية (١٢٥٨ م) ، وكان هذا العصر عبارة عن مأس قاصمة للظهر وحاقت بالمسلمين ، لأنهم تخلّوا عن الجهاد إلا من رحم الله ، وفي هذا العصر ذلّ العرب لأنهم غزوا في عقر ديارهم وانصرفوا

عن الجهاد ، واعتمدوا على غيرهم للدفاع عنهم وعن أرضهم وعرضهم .  
وبدأ بعد سقوط الدولة العباسية عصر الظلمات ، فهان العرب على أنفسهم  
وعلى الناس ، وتولى قيادتهم الفعلية غيرهم من الأمم ، حتى أواخر القرن التاسع  
عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين ، حيث بدأ عصر استعمار الدول العربية .  
واستقلّ المسلمون سياسياً وعسكرياً واقتصادياً في أواخر النصف الأول  
من القرن العشرين الميلادي وفي أوائل النصف الثاني من هذا القرن ، ولكنهم يعانون  
من الاستعمار الفكري . البغيض حتى اليوم ، في غياب الجهاد عنهم وغياب  
التمسك بتعاليم الدين الحنيف .

وكانت انتصاراتهم في عصر الفتح الذهبيّ وعصر استعادة الفتح انتصار  
عقيدة ، وحدّت صفوفهم وجمعت كلمتهم وجعلتهم كالبنيان المرصوص يُشدّ  
بعضه بعضاً ، فاصبحوا في توحيدهم ووحدةهم قوّة لا تقهر أبداً .  
فلما غيرّ المسلمون بأنفسهم وانحرفوا عن عقيدتهم ، لم ينتصروا أبداً ،  
لأنّ أنفسهم هانت عليهم فهانوا على الأمم .

وقد جرّب المسلمون مبادئ وعقائد شتى ، فما زادتهم إلاّ ضعفاً وهواناً  
على الناس ، ولا يزالون يجربّون مبادئ وعقائد جديدة ، ولكنهم بقوا في آخر قائمة  
الأمم عسكرياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً ، وحسبهم أن تعتبرهم الأمم المتقدمة في  
قائمة الأمم النامية ، وهو التعبير التخديريّ الذي معناه : الأمم المتخلّفة !

لقد أصبح المسلمون في سنوات معدودات بالإسلام في الأوج ، فقادوا العالم  
عسكرياً وسياسياً وحضارياً ، وأصبحوا خير أمة أخرجت للناس .

وأمسى المسلمون منذ قرون طويلة بغياب الإسلام في الحضيض ، ففقدوا  
ما فتحوه وخسروا دار الإسلام واستعبدتهم الأمم ، وأمسوا أهون أمة في العالم ،  
وحتى أصبح للصهيانية في بلادهم دولة وكيان . لا لقوّة الصهيانية ولكن لضعف  
العرب .

فمتى يعود العرب والمسلمون إلى الإسلام من جديد ، ليستعيدوا مكانهم ومكانتهم في الأرض ، ويعودوا خير أمة أخرجت للناس ! .

تلك هي عبرة : استعادة الفتح ، لعلّ فيها فائدة للمسلمين في كل مكان .  
إنّ الطريق واضحة المعالم ، ولكنّ الاستعمار الفكري الذي يسيطر على قلوب المسلمين وعقولهم معاً هو الذي جعل المسلمين يتيهون في متاهات لا أوّل لها ولا آخر ، وهو الذي جعلهم يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فمتى يميّز المسلمون بين الحق والباطل ، فيقلعون عما صنعه أعداؤهم فتقبلوه وفيه هوانهم الأبدي ؟ ! .



# الفهرس البحوث

## الصفحة

	<b>الدكتور صالح احمد العلي</b>
٣	نقل كتب العلوم الى العربية .....
	<b>اللواء الركن محمود شيت خطاب</b>
٤٥	ارمينية ، قبل الفتح الاسلامي وفي ايامه .....
	<b>الدكتور كامل حسن البصير</b>
٩٦	من مشكلات اللغة الكردية وادبها .....
	<b>ميخائيل عواد</b>
١١٤	اعضاء الانسان المصطنعة عند العرب .....
	<b>الدكتور يوسف حبي</b>
١٢٤	ايوب الأبرش الرهاوي .....
	<b>الدكتور محمود الحاج قاسم محمد</b>
١٤٣	السلوك الطبي للاطباء العرب والمسلمين .....
	<b>الدكتور عبدالحسين الفتلي</b>
١٧٥	ابو جعفر الطبري ومنهجه في القراءات .....
	<b>الدكتورة ناجية عبدالله ابراهيم</b>
٢١٥	المفهوم اللغوي والاصطلاحي للريف والسواد عند العرب .....
	<b>الدكتور محمد جابر فياض</b>
٢٣٢	التورية ، وخلق القرآن الكريم منها .....
	<b>هلال ناجي ( تحقيق )</b>
٢٨٠	شعر البيضاء .....

## عرض الكتب

	<b>الدكتور نوري حمودي القيسي</b>
٣١٦	التمام ، على ماجاء في معجم شعراء لسان العرب من أوهام .....

# مجلة المجمع العلمي العراقي



جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ

نيسان ١٩٨٣ م